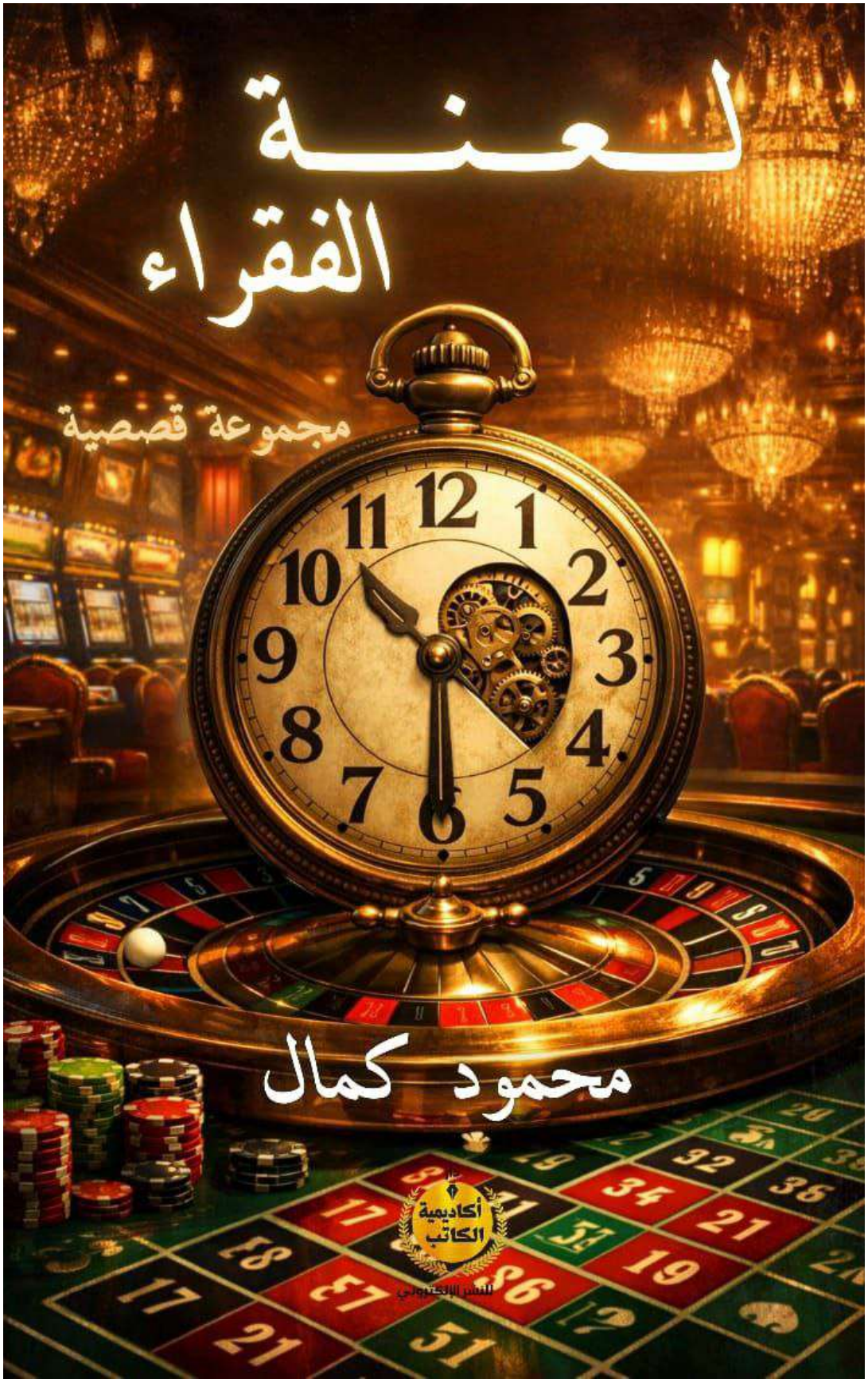
لعنة
الفقراء
مجموعة قصصية
محمود كمال
أكاديمية الكاتب
للنشر الإلكتروني

لـــعـــــنـــة الـــفـــقـــــراء

مجموعة قصصية

محمود كمال

دار اكاديمية الكاتب للنشر الالكتروني

رئيس مجلس الإدارة: محمود كمال

المدير العام: محمد حسن

الطبعة الأولى

الكتاب: لعنة الفقراء

المؤلف: محمود كمال

تصنيف الكتاب: مجموعة قصصية

تصميم غلاف: عائشة عمارة

المقاس١٤* ٢٠

الترقيم الالكتروني EBIN : 60-17-1-260129

التليفون : ٠١١١٢٣٥٧٤٧٣

Email:alkatebacademyforpublishing@gmail.com

صفحتنا على فيس بوك: دار أكاديمية الكاتب للنشر الالكتروني

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

قارئي العزيز أهلا بك بعالمي الخاص الذي ستدخله رغم عنك شئت أم أبيت، لأنني سوف آخذك لعالم خيال أشبه بالواقع.....

ستدخل معي كازينو الناس لتكتشف كلٌ على حقيقته، ولنسمع معًا نفس الحكاية بطريقة لم تكن تتخيلها، ولترتطم نفسك معي بحقائق الناس الصادمة، ولتطلب مِنّي ٢ جنية بعرض البحر وسنرى ماذا سيحدث؛ لتعلم أن الدنيا دوراه ولكنك غبي لم تفهم الدرس....

فهل يا ترى ستفهم قبل فوات الآوان أم ستصيبك معي لعنة الفقراء ولترضخ لمطالبهم حتى تعيش حياتك القادمة بسلام؟

أم ستدخل الزقاق الضيق، لتجد الواجهة المزيفة، لتسأل نفسك من تكون؟ حتى تصادف مواطن غلبان شقيان مُهان، وبعدها تصاب بلعنة الذكريات، بسبب الباب الموارب الذي تركوه لك حتى لا يُغلق جرحك وتظل تنزف... لتصل للعبة الأخيرة الداخل بها مفقود والخارج منها مولود.....

فهيا بنا لنعيش الحكايات واحدةً تلو الآخر وأذا كان قلبك رهيف أرجوك لا تقرأ فأصحاب القلوب الرقيقة لن يتحملوا قسوة هذه الحروف وإذا كنت تخاف أترك الكتاب في الحال فهذه المجموعة القصصية غير كل القصص التي مرت عليك فهي قصص أشبه بقصة واحده متلاحمة وما ستعيشه سوف يغير حياتك تغيرًا جزريًا فهيا بنا يا صديقي.

لـــعـــنـــة الـــفـــقـــراء

إمّا أن تفهم ما يريدونه منك وترضخ لمطالبهم حتى تعيش بسلام وإمّا أن تصيبك لعنتهم

للكاتب محمود كمال

	الفهرس	الصفحة
١	كازينو الناس	٨
٢	نفس الحكاية	١٦
٣	ارتطام نفس	١٩
٤	٢ جنية	٢٢
٥	دنيا دوارة	٢٦
٦	غبي لم يفهم الدرس	٣١
٧	قبل فوات الأوان	٣٧
٨	لعنة الفقراء	٤٥
٩	مواطن غلبان	٥٣
١٠	على بوابة الهاوية	٥٥
١١	لأجلك أحببت	٥٩
١٢	الوجهة الأخيرة	٦٧
١٣	الزقاق الضيق	٧١
١٤	واجهة مزيفة	٧٥
١٥	من أكون	٧٩
١٦	لعنة الذكريات	٨٢
١٧	الباب الموارب	٨٤
١٨	اللعبة الأخيرة	٨٩

إهداء

إلى القلوب المُتعبة من عناء الحياة...

وإلى كل إنسان بسيط، قلبه يحمل الخير للغير رغم كل ما مر به من خذلان...

أهدي لكم هذه المجموعة القصصية

أتمنى لكم قراءة ممتعة....

وشكر خاص لصديقي الكاتب محمد حسن

والكاتبة أسماء عبد الحميد

وللكاتبة عائشة عمارة على تعبهم معايا ديمًا.

محمود كمال

كازينو الناس

ما أصعب أن تُعلّق بين الحقيقة والسراب، وما أصعب الروح التي لا تطول حتى السماء.

نظرت له بعبثية وهي تتعجب كيف لها أن تنتفض هكذا من سقوطه أمامها ثم قالت:

- أ حسام مالك فيك إيه؟ فوووووق إيه حصلك؟

بالطبع أنا كنت في دنيا أُخرى غير هذه الدنيا وفوجئت بشخص يقوم بقياس نبضي وبعد أن انتهى قال بنبرة يسودها الضجر:

- الشخص ده لو عاش هيكون بمُعجزة كبيرة، النبض يُعتبر خلاص مفيش يعني حرفيًا بيموت، أنا عارف البلاوي دي بتتحدف علينا منين، يعني عنده ضغط وسكر وجاي يشرب وهو ملوش فيها.

نظرت له البنت الجميلة التي كُنت أجلس معها والتي تعرفت عليها اليوم فقط وهي تقول له بصوت يملؤه اللهفة:

- الشخص ده لازم يفوق، ده ليه دين في رقبتي ولازم أرده ليه، مش يموت أونطه كدا، هديلك كل إللي تطلبه يا خميس بس تجبله دكتور حالا ويفوقه بأي طريقه.

- أنتِ شكلك عايزه الحكومة تِدَخلّنا في سين وجيم، بقولك إيه أنا كل إللي عليا هحطه في شوال زباله وأرميه بره وأنتِ تبقي تقولي لقيتيه مرمي على الأرض في الشارع وتساعديه براحتك.

- ماشي يا خميس، اخلص مفيش وقت إنجز.

وبعد أن فعل خميس المتفق عليه وألقاه على الأرض كأنه حيوان بلا رحمه وشفقه حتى طريقة حدفه كانت شديدة ليرتطم أ. حسام على الأرض في قسوة لم يراها من قبل أو يشعر بها، هرولت نعمة إلى صيدلية لتأتي بطبيب صيدلي كان أمامهم وجاء ليتفحص أ.حسام وبعد لحظات قال لها:

- النبض واقف!

نظرت له وقد انتابتها حالة ذهول جعلتها تتسمر في مكانها وقالت:

- يعني إيه يا دكتور تقصد إيه؟

وقف كِلاهُما مصدوم بين العجز واللا عجز، بين الموت واللا موت.

ما أصعب أن تُعلق بين الحقيقة والسراب، وما أصعب الروح التي لا تطول حتى السماء.

هيا بنا نبدأ من البداية ودعوني أن أسرد لكم القصة

بالطبع أنتم كل ما تعرفونه عنّي حتى الآن اسمي، نعم أنا حسام الشواف والحقيقة أن الشواف هو لقب، لأنني لا يغمد لي جفن حتى أسعى وأرى الحقيقة بالكامل، للعلم أنا لم أدخل خمارة من قبل ولكن قلت ماذا سيحدث إن دخلت وخُضت التجربة؟ فالفضول كان يقلتني لأعلم عن هذه الحياة، نعم إنها حياة بالداخل مختلفة بشدة وكأنك عندما تخطوا داخلها أصبحت في عالم غير العالم، عالم كل شيء به مُتاح لا خجل، لا حياء، لا غيرة، لا شرف لا شيء بتاتًا، ولكن ما استوقفني ما الذي سيقولنه عنّي وأنا على وجهي آثار الصلاة! وبالفعل جائتني فكرة وكان هذا اليوم الشيطان يساعدني بكل ما أُتي من قوة، لم أشعر بنفسي إلا وأنا أدخل محل لأدوات التجميل وابْتَعْتُ مسحوق وجه الخاص بالسيدات، نعم لا تستغربوا وأكملت العمل وأحضرت فرشة وغمزتها في المسحوق وداريت زبيبة الصلاة التي على جبهتي، وبعدها وقفت أمام كازينو الأحلام، حيث هنا تلبى كل رغباتك، نعم وقفت أمامه حيث لا تراجع، هو بالضبط مثلما تروه في الأفلام وقد كانت بداية النهاية.

دخلت وكأني مألوف على هذا المكان منذ الصغر وكأني من رواد هذه الأماكن، لأرى الإضاءات الزرقاء والحمراء والصفراء التي تعلوا تارة وتنخفض تارة حيث الموسيقى تضج بالمكان ضجًا، نظرت عن يميني لأجد جاردات تسُد عين الشمس ونظرت على اليسار لأجد من على أهبة الاستعداد لأي مناوشات تحدث بهذا المكان ثم أخذت أتجول بنظري، رأيت شخص جالس وتجلس عليه فتاة في كامل فتنتها الأنثوية لتسيطر عليه وتجعله في حالة سكر دون كحوليات لتأخذ جميع ما يملك من نقود، وأخرى تحاول إغراء خليجي بكل السُبل لتجعلة راكعا لها فإن نجحت في إغراءها له فقد فازت بجنة الدنيا التي لم تراها من قبل، سترون يمنى ويسرى الترابيزات مرصوصة وجميعها ممتلئة بالفتيات على كل شكل ولون وأشباه الرجال يتراقصون وكأنهم أصبحوا نُسوة، وبالأمام ستروا البار مثلما يقولون، ثم رأيت كراسي فردية لمثلي الذي لم يجد له حتى الأن أنثى، فمثلي من التي تأتي له وأنا مصري؟ وملابسي تُهيء أني مصري لا يمتلك حتى رغيف فول من بائع متجول وبالفعل ذهبت للبار وأنظاري تجول بالمكان لأرى

فتاة قمحاوية اللون جميلة الملامح جسدها ينبض بالحياة ويلمع بشدة جعلتني أندهش وأقف مذهولا ماذا يفعلون حتى يصبحوا على هذه الهيئة؟

ثم آتت إليَّ وهي تبتسم ابتسامة عزباء وتضع يدها على منكبي وقالت لي:

- الحلو منين ؟

- إمبابة

صمتت لحظات وهي تتفحصني جيدًا وكأنها خبيرة عليمة بكل شيء وقالت:

- أجدع ناس، واسمك إيه بقى و إيه جابك هنا؟ شكلك أول مرة.

تعجبت من معرفتها وسألت نفسي هل أنا مفضوح لهذه الدرجة؟ ثم قلت محاولا نفي ما قالته:

- اسمي حسام ثم مين قالك بقى إنّي أول مرة؟ وبعدين ده أنا متعود آجي ديمًا بس كازينو تاني غير ده ولكن هثبتلك دلوقتي إني متعود، ثم الجميل اسمه إيه؟

- اسمي نعمة.

- هو أكيد اسم حركي ولأن كل الأفلام بيكونوا اسمهم نعمه ولكن خليني معاكِ للآخر.

ضحكت وابتسمت أنا بمكر، ثم نظرت للرجل الذي يقف على البار وقلت له بكل حماس:

- هاتلي إزازة فودكا أعلى حاجة عندك مع كاسين عشان القمر دي.

- عنيا يا باشا.

لا تستغربوا، الفودكا التي طلبتها أنا ولا أعرفها، ولا بحياتي جربتها، كل ما في الأمر أنني آراهم بالأفلام يفعلون هذا وأسمع أغاني سائقين التكاتك الشعبية والمغني يقول:

وشربت فودكا

ولبست فيونكا

لاجل السنيورة

أعلق دبورة

وأحب فيها

ولا أجدع شجيع سيما

طيب يللا هوب تك تك ولعها نار

والبنت ديا ماسكة فيا

عايزة فول وأنا مش معايا غير طعمية

طيب يللا هوب هوب تك تك ولعها نار

الحب ده ياناس حقيقة ولا هزار

طيب يللا بينا ندخل السيما

وهنعرف من البنت إنها حبّت

ولا عايزة تعيش لحظة ف.....ة

هوب هوب تك تك ولعها نار

الأغنية خلصت بينا عالبار

وربنا يستر وما نروحش النار

من الواضح أنني سكرت من قبل الشرب وأصبحت أقوم بتأليف أغاني شعبية، لا تحاولوا البحث عن كلماتها لأننا سرقت شربت فودكا وأكملت أنا من خيالي هيا بنا نكمل الحكاية ونرى ماذا سيحدث

نظرت نعمة إليّ وهي تقول:

- على فكرة لو فاكر إنك بكده بتثبت إنك مخلّص ومقطّع السمكة وديلها تبقى غلطان أنا من كتر معاشرتي للناس هنا بعرف كل واحد معدنه إيه وأنت مش شبه إللي هنا.

نظرت لها وقلت:

- وأنتِ كمان شكلك مش زي إللي هنا، إيه مخليكِ تشتغلي في المكان ده؟

ظفرت زفرة طويلة من أنفاسها وقالت بعد صمت:

- الناس للأسف بيبصوا لينا إننا بمزاجنا بنعمل كدا ولكن سعات الظروف تبقى أقوى منك، لما تطلع في بيئة سيئة وتلاقي سمعة أهلك وحشه وقتها أنت بيتحكم عليك تبقى زيهم حتى لو بقيت أحسن منهم، الناس ما بترحمكش وبيقولوا كلام في ضهرك دي إللي أُمها مطّلقة وماشية على حل شعرها ودي إللي أبوها اتجوز ورماها للشارع عايزنها تطلع إيه شيخه! فبتستسلم إنك تبقى أوسخ كمان منهم عشان تسكّت بوءهم عرفت ليه بقى يا أُستاذ حسام.

- شكل حكايتك حكاية كبيرة أوي

قاطعهم البار مان وهو يقول:

- اتقضل يا باشا أحلى إزازة فودكا وأحلى كاسات زي ما طلبت.

- مسا مسا عليك يا رايق.

نظرت نعمة له مُبحرة في عينية الغائرتان وشعرت بإرتياح شديد للكلام معه وكأنها وجدت من يشبهها فأخذت تفتح إزازة الفودكا وتفور كعادتها وصبّت الكاس لحسام وكاسها وقالت وهي ترشف من كاسها وحسام يتجرأ ليجاريها ويشرب هو أيضًا:

- حكاياتي كبيرة ولكن مش أكبر من حكايات إللي حوالينا، إوعى تفتكر إن كل إللي حواليك دول بمزاجهم، مفيش واحده يا استاذ حسام تبيع شرفها وتخليه مداس لشوية أوساخ نجسين كل همهم لحظة أو دقايق او حتى ساعة، كل واحدة الدنيا فرمتها وعندها فوق دماغها جبال من الهموم فبقت زي ما أنت شايف.

- بس ده مش مبرر إنكم تبقوا في المكان ده وربنا مقالش كدا إننا نستسلم وخلاص بقى.

نظرت نعمة بذهول وكأن شيئ حدث ليس متوقع وقالت بتعجب:

- يااااه يا أُستاذ حسام، ربنا! تصدق بقالي كتير ماسمعتش حد بيقول ربنا! هو ربنا تفتكر إنه ممكن يرحمنا ويدخلنا جنته بعد كل إللي عملناه ده؟ ثم هو فين ربنا من ظلم البشر وطغيانهم؟

- طبعا ربنا موجود ولكن بيسيب كل واحد حر يعمل ما بداله عشان لما يحاسبه يكون حسابه شديد.

ثم أخذت نفسه تحدثه قائلة:

ثم هو إيه إللي بعمله ده؟ بشرب خمرة وبتكلم عن ربنا ياه ده أنا إنسان وسخ أوي.

ثم عاد لنعمة وهو يقول لها:

- عارفه يا نعمه إوعي تفتكري إني ملاك، أنا نفسي دي مودياني في داهية عارفه ليه؟

- ليه يا حسام واسمحلي أقولك كدا.

- أنتِ تقولي إللي عايزاه ثم محسساني إننا في ملتقى ثقافي! ده إحنا في خمارة.

ضحكوا سويًا ثم قالت له:

- قول ليه يا فيلسوف؟

- عشان بتحب تجرب كل حاجة.

- ماهو التجربة بتعلم برضو.

- بس لو التجربة دي هتكون وصمة عار يبقى متعلمش ولو متعلمناش من تجارب إللي حوالينا يبقى هنضيع من عمرنا كتيييير أوي أوي، هو أنا مالي بيحصلي إيه ؟ أنا حاسس إني بفقد كل حاجة واضح إن الضغط في مشكلة أو السكر وطي عليا، نعمه، نعمه، نعمه، أنا مش شايفك.....

وفجأة ارتطم جسد حسام على الأرض لتمسك به نعمه وهي تحاول إفاقته وتنادي على حارس من الحراس ليتفقدوه

عوده للنهاية

نظرت له وهي تبكِ في ذهول وقالت:

- يعني إيه يا دكتور تقصد إيه؟

وقف كلاهما مصدوم بين العجز واللا عجز، بين الموت واللا موت.

ثم قال الدكتور لها

- هو بيعاني من حاجة؟

ترددت أن تقول أنها كانت معه وهو يسقط ويقول أن لديه السكر والضغط حتى لا تقع تحت تساؤلات عديدة ثم قالت:

- ماعرفش أنا أول مرة أشوفه.

- طيب واضح إن السُكر عنده إنخفض جامد والضغط وطي على الآخر هنقله مستشفى حالا.

وصلت الإسعاف لتحمله بسيارتها ووضعت له أُوكسجين وذهبوا به إلى المشفى ومعهم نعمه وبعد ساعة من عمل الأطباء قالوا:

- إزاي واحد عنده ضغط وسكر ويشرب كحوليات؟

- والله أنا ماعرفهوش أصلا، أنا يادوبك شوفته بالصدفة وكان لازم أقف جمبه.

- حصل خير وياريت تخلّي بالك منه عشان المرة دي نجي من الموت، المرة الجاية مش هنقدر ننقذه .

أفاق حسام بعد ساعة من فقده كل شيء حوله ثم نظر لها وقال:

- آسف، تعبتك معايا.

- تعبك راحه يا حسام.

نظر لها بامتنان وساد الصمت بينهما وبعد لحظات قال لها

- هتروحي على فين؟

- مش عارفه غير إن الطرق كلها مابقاش ينفع نجرب فيها.

- مش قولتلك لو كل حاجة جربناها ومشينا ورا هوانا ونفسنا وبس ممكن تكون سبب هلاكنا، بس طريق واحد بس هو إللى فيه نجاتنا.

- قول يا حسام قول إيه الطريق ده؟

نظر حسام إلى النافذة التي أمامه ثم رمى بصرة ناحية السماء وقال:

النجاة فووووق يا نعمة، بصي لفوق وأنتِ هتعرفي الطريق الوحيد إللي فيه نجاة كل البشر.

تمت

نـــفـــس الـــحـــكـــايـــة

وكانت النتيجة أننا نُصبح بالنهاية لا شيء لهم، مُجرّد حشرة من خلية نحل سُلبت منها رحيقها، ليحلقوا فوق أزهار أخرى ليفعلوا نفس أفعالهم والسؤال الذي لا بُد أن نسأله هل سنُعيد نفس الحكاية مرة أخرى؟

القرار لكم!

كُنت دائمًا أحاول أن أصبح أفضل وأفضل ولكن الذي به عيب لا يبطله، نعم اسمعيها منّي يا زهرتي فأنا مثلك تمامًا.

بالبداية أنا مثل أي فتاة تحلم بالحب وفارس الأحلام بالحصان الأبيض ولكن الحقيقة أن الحب الذي نراه في الأفلام والروايات هذا كله كذب، وفي الواقع صعب أن تري مثل هذه القصص وإن قابلتيه مصادفة وعشتِ حقًا به، سيكون مُجرّد وقت وسينتهي عندما يستنزفك ويأخذ منكِ أكبر قدر من روحك وجسدك وأنفاسك.

لا تستغربي! أنا مثلي مثلك تمامًا، أدرس بالجامعة في الفرقة الثانية كلية الآداب قسم تاريخ وجغرافيا، اسمي شهد عصمت المسلماني، كنت أحلم بحياة بها استقرار ورجل يكن لي أنا فقط وطن، أستند عليه ليحميني من تقلبات الزمان ويدفيني في لحظات البرد السحيق ويكون السلام لي وقت عواصف الريح، ولكن **من الواضح أن الرجال سُلِبت منهم الأوطان مع الحروب زمان، فـ لم يتبقى منهم سوى ذكرى تواريخ قديمة مهترئه**.

القصة بدأت يوم أن ظل يتحايل عليّ صديق لي بالجامعة إنّي أوافق على قصة الحب التي ينسجها يومًا، فصراحة أطربني شعرًا وجعلني أهيم في سماء العشاق، وهو كان قمر حقًا بالعامية (عسول في نفسه أوي كدا وكل حاجة حلوة فيه) فقلت ولما الرفض وهو نيته خير؟ وبالفعل بدأها معي باحترام شديد وحنية لم أرى مثلها من قبل، وخطوة خطوة والشيطان بارع كل البراعة ليجعلنا نخطو حول الهاوية، من بنت لا تلمس أي يد لرجل حتى أصبحت في أحضانه، أحسست وقتها أنني عارية من كل شيء وأنني رخيصة بشدة أمام نفسي عندما قلت له:

- امتى بقى هتتقدم ليا حبيبي؟

رد قائلا بعدم مبالاة واهتمام بعدما هدأت نار شهوته الجارفة والتي جرفتنا سويًا إلى بحر من النجاسة يعتلينا:

- ان شاء الله لمّا تتحسن ظروفي يا شهد.

نظرت له وقلت بنبرة هادئة مستغربة بلادة الحديث:

- تتحسن ظروفك!

- يعني إزاي هاجي وأنا ماملكش أي حاجة حتى شغل مفيش.

- أمال فين كلامك في الأول، أنا هعمل المستحيل عشانك يا شهد بس أنتِ توافقي أنا هشتغل شغلانتين أنا أنا أنا....

رد عليها معطيًا ظهره إياها وهو يُشعل سيجارته ويأخذ نفس عميق وينفث دخانها في الهواء الطلق بشدة قائلا:

- لا يكلف الله نفس إلا وسعها يا شهد، وبعدين إحنا خلافتنا كتير تفتكري لو كملنا هيكون حلو؟

تقدمت خطوات ودورت نفسها لتكون أمامه وعينيها بعينيه وهي تنظر له بذهول وهو يحاول أن يبعد نظراته عنها ثم قالت:

- لو كملنا يا مُحسن؟ بتقول لو كملنا! أنت إللي زيك ما يذكرش اسم ربنا على لسانه، عشان إللي زيك شيطان عامل زي الحية يلف حوالين الفريسه ياخد منها إللي عايزه وفي الآخر يرميها حسبي الله ونعم الوكيل فيك.

- وهو حد غصب عليكِ ولا ضربك على إيدك؟ كله كان بمزاجك يبقى تتحملي النتيجة واتهيئلي إنك في سن الرشد يعني مسئولة عن أفعالك يا شهوده سلام.

ثم خطى خطواته لفتح باب الغرفة التي كان استأجرها لمقابلاتهم السرية وخرج منها تاركًا إياها تسرح في متاهات عقلها.

ثم تحدثت مع نفسها وكأنها انتابها الجنون قائلة:

- للأسف كان عنده حق، أنا إللي من الأول رخصت نفسي يبقى لازم استحمل النتيجة إللي وصلت ليها، جايز لو كنت من الأول رفضت وقولت أنا مابدخلش في علاقات غير قدام أهلي وشرعية كان الوضع اختلف، كنت هبقى غالية لكن أنا إللي مخلّتش ليا ثمن وكانت النتيجة إني أكون ولا حاجة، مُجرّد حشرة نحل إتّاخد منها رحيقها واتسابت تشوف طريق تاني فيه شجر ياترى هتعلم ولا هعيد نفس الحكاية مع حد تاني القرار ليكِ يا نفسي ولكل بنت وقعت في نفس الحكاية؟

ارتـــطـــام نـــفـــس

كيف نتعايش مع مجتمع كل همه الظواهر فقط؟ ولا يعلم شيء عن كُنة النفس الإنسانية؟

وكيف للمجتمع أن يُحاسب شخص مسلوب الإرادة وكان كل ذنبه أنه وجد نفسه بِهذه الحياة القاسية.

وقفت حنين العاصي بالطابق العشرون وهي تنظر لأسفل وتعتصر ألمًا وتبكِ وهي تنظر للمجتمع نظرة دونية مِثلما ينظرون لها وكيف لهذا المجتمع أن يصبح هو سبب موتها؟

فهي لا تعلم كيف تعيش وسط أَناس ينهرونها ويعايرونها بمرضها النفسي وتقلبات مزاجها؟

كيف تتعايش مع أُناس يفِرون مِنها ويقولون لمن يقترب إبتعدوا عنها؟

حتى أباها تركها في سن صغير ولا يحن عليها بأي عاطفة، وأخاها الكبير يضربها دومًا وأخاها الصغير يبتعد عنها ويعايرها بالجنون حتى أمها، لا تخشى عليها بقدر خشيتها من رسوبها بالثانوية العامة حتى لا يقولون أن إبنتها فاشلة بالتعليم،

كيف تتعايش مع مجتمع كل همه الظواهر فقط؟

لا يراعي الباطن، لا يراعي النفس الإنسانية التي هي أهم شئ فى الوجود ، فقد حاولت مرارًا وتكرارًا أن تتعايش ولكن سَئِمت من هذه الحياة حتى حاولت الإنتحار مرات عديدة ولكن كانت تنجو بفضل الله، وسمِعت كلام كثير يُذكرها بالله ولكن الذي لا يعلمه الكثير أن المرض النفسي هو تغيرات في الهرمونات والإفرازات الطبيعية لدى العقل لذلك الله سبحانه وتعالى رفع القلم عن فاقد العقل لأنه ليس لديه عقل ليفكر ويُميز به لأنه شئ خارج عن إرادته فأي تقلبات مزاجية وردود فعل تحاسبونه عليها وهو ليس لإرادته شئ بها.

فكيف للمجتمع أن يُحاسب شخص مسلوب الإرادة كل ذنبه أنه وجد نفسه بِهذه الحياة القاسية؟

وقفت حنين وهي تبكِ على قسوة المجتمع عليها وتبكي على أنها مُقدمةٍ على شئ لا تود فعله ولكن هم من أوصلوها لهذا القرار، نظرت للسماء قائلة:

- يا رب إني سئمت من هذه الحياة وأعلم أن بقراري هذا سأكون مُنتحره وأنني أستحق العذاب مِثلما يقولون، ولكن أنت أرأف مِنهم جميعًا، أنت تعلم ما أنا بِه و إنه ليس بإرادتي ولكن أعلم أنك سترحمني عندما آتي إليك...

فإذا كان ولا بد من عقاب؛ فعاقب من يصلوا بِنا إلى هذا الطريق المسدود إلى من يملئون الدنيا شرًا إلى من ينتهكون إنسانيتنا وحُرماتنا النفسية والجسدية إلى من

ينهروننا إلى من يجعلونا نقنط برحمتك وبلطفك فى هذه الدنيا إلى من يجعلوننا نقنط حتى من أنفُسنا.

وقفت حنين وهي تتكلم مع نفسها ثم نظرت إلى السماء وبدأت بإمالة جسدها نحو الأسفل، وإذ بها تشعر بمن يُمسك بتلابيبها ساحبًا إياها وتسمع من يقول بصوت يملؤه الفزع والهلع:

- حـــــنـيـــــن.

نظرت حنين خلفها لتجد أمها تنظر إليها وتقول:

- لماذا يا حنين تريدي أن تُفارقيني؟

نظرت حنين لها وهي تبكِ قائلة:

- لأن لا أحد يُريدني، للأسف الجميع يكرهني وأنا أكره نفسي وأُريد أن أُريحكم جميعا.

- لا تقولي هذا يا ابنتِ فأنا أحبك تعالى معي هيا، هل تريدي أن تموتي كافرة لما كل هذا ؟

- هل تسألي لما كل هذا ؟ ببساطة لأنكم جعلتموني أكفر بذاتي.

- هيا يا حنين هيا بِنا نتحدث بالمنزل، ماذا يقولون الناس وهم يشاهدون ما تفعلينه.

نظرت حنين فى آسى وقالت وهي يعتليها الغضب:

- مرارًا تعيدي كلمتك ؛ (الناس، الناس ماذا سيقولون ؟) ملعون أبو الناس **!!!**

أقول لكِ أنني مُتعبه ولا أقدر على المُذاكره بسبب الهواجس التي تأتيني تقولي لي:

- دعكِ من هذه الهراءات، فماذا سيقولون الناس عنكِ إذا رسبتي.
- أقولها لكِ يا أمي بملئ فمي إجعلي الناس تنفعك بعد هذا اليوم فلقد كفرت بِكِ وبهذا المجتمع.

ثم فى أقل من ثانية حيث لا تهاون ولا حسابات لأي شيء، استدارت للجهة الأخرى وركضت بأقصى ما لديها وقفزت لتهوى إلى عالم آخر أسمع دوي إرتطامة من بالأرض والسماء .

٢ جـــنـيــة

ثم ترك نفسه لمواجهة مصيره وقال:

سلامًا عليكم أيها البشر، سامحكم الله على هذا السوء ولكن لنا لقاء آخر أمام الملك العادل.

وبالفعل بدأ يهوى بقاع البحر....

في يوم من إحدى أيام الإسكندرية الصيفية ، خرجت عائلة مكونة من أم وأبنائها الاثنين ليستنشقوا رائحة البحر المُفعمة باليود أخذا يتغنيان بأغنية عبد الوهاب وفيروز: شط إسكندرية يا شط الهوى

رُحنا اسكندرية رمانا الهوى
يا دنيا هنيّة وليالي رضيّة
أحملها بعينيّ شط اسكندرية.

أخذا ينظران إلى تاكسي الأسكندرية الأصيل الذي مهما جار عليه الزمن سيظل لونه الأصفر والأسود رمز من رموز وعوالم أسكندرية الجميلة، ثم أخذا ينظران إلى محلات جيلاتي عزة وعمارات الأسكندرية التي جار عليها البحر بأملاحه ليجعل منظرها مشقق مما يجعلك تشعر بقدم هذه المدينة وأصالتها، وبعدها ظل ينظران للشواطئ وكل شاطئ بكِ يا إسكندرية أجمل من الآخر، وبعد أن استقروا على إحدى شواطئها الرائعة دخلا الشاطئ وبدأت أقدامهم تغرس في الرمال وهم يسيرون بفرحة وبهجة ثم استقرا على كراسي أمام البحر مباشرة وبالفعل جلسا جميعهم تحت الشمسية، وبعد دقائق أكلا وجبة إفطارهم مع بعضهم البعض وأخذا كل منهم ينظر إلى البحر لينعم بأحلامه وآماله نظر جاسر لآخيه الصغير الذي تأهب للنزول للبحر قائلا له:

- ياسر يا ريت متغوطش جوه أوي عشان انهاردة البحر في جزر ومد ماتتغرش بمنظر البحر الجميل أديني بنبهك أهو.

نظر ياسر لآخيه جاسر قائلا:

- هو عشان أنت مدرس جغرافيا هتمارس دراستك حتى في المصيف! خليها على الله ومتحبكهاش أوي.

نظرت الأم لهم موجهة كلامها لإبنها الصغير ياسر قائله:

-اسمع كلام أخوك يا ياسر وماتتعبش قلبي.

على مضض رد ياسر قائلا:

- حاضر يا أمي في تعليمات تانية بقى ولا إيه.

ثم ذهب غالقًا أي فرصة لأي حديث آخر متجهًا داخل البحر، بينما أخوه جاسر يقف على الشاطئ يراقب أخيه ياسر لأنه يعلم أن أخاه لا يستمع لأحد ويفعل ما يُمليه عليه عقله فقط، وبالفعل أخذ ياسر يواصل العوم وعزم على الوصول للجزيرة التي تقع بمنتصف البحر، أخذ البحر يرعبه بهدوءه الذي يجعلك تشعر أن بعد هذا الهدوء عاصفة قوية، فمنظر البحر من الداخل وأنت لا أحد معك وفي عمق سحيق لن يسمح لك أن تقف عند التعب، شيء مُرعب لا يتصوره أحد إلا من جربه، فالبحر رغم جماله مُخيف جدًا ومن الممكن أن يأتي بسكته قلبيه لأحد لا يعرف السباحة وغرقت سفينته، وقتها سيبتلعه البحر بلا رحمه ولا شفقة، واصل ياسر السباحة حتى حدث ما كان يخشاه وصدق كلام أخيه جاسر، البحر أبعده عن الجزيرة بأميال كثيرة، نعم هو تخطى مسافة الجزيرة ولكن البحر كان أقوى ليجذبه إلى الخلاء لمسافة تبعد عن الجزيرة وهو وحده يصارع هذا الموقف، تصارعت دقات قلبه رأى كل من على الشاطئ كأنهم لا شيء بدأت العين تزغلل حتى لا ترى من على الشاطئ أصبحوا كشيء صغير جدًا لا يُرى وقتها أيقن أنه أودى بنفسه إلى الهاوية ولا خلاص، ظل يحاول بكل عزم الرجوع ولا جدوى، البحر لا يستجيب بل يأخذه معه إلى الأعماق أكثر وأكثر أيقن وقتها أن الموت بانتظارة وقد صدق أخيه وكذبت عليه نفسه التي أغرته لتشعره بتفرد ذاته ووجد نفسه بجانب سفينة كبيرة راسية بمنتصف البحر، تهللت أساريره وكأن الأمل عاد من جديد ثم أخذ ينادي على من عليها بأعلى صوت حتى ظهر له أحدهم وهو يقول له:

- مالك عايز إيه؟

بصوت متسارع منبوح متهدج

- أنا البحر رماني لهنا ومش عارف أرجع، جذب المياه أقوى مني أرجوك طلعني عندك.

- هات ٢ جنيه وأنا أطلعك على المركب.

أخذ يفكر ياسر داخل نفسه ويتساءل هل هذا الرجل مختل عقليا أما يمزح أم ماذا بالضبط؟! ثم قال:

- ٢ جنيه إيه إللي بتتكلم عليهم أنا في البحر! هو أنت مش واخد بالك ولا إيه أنت بتهزر صح.

- لاء مابهزرش تجيب ٢ جنيه أطلعك.

- لاء ده أنت فعلًا مختل عقليًا، بقولك أنا بغرق ثم واحد في البحر إزاي هيكون معاه فلوس؟!

- ده إللي عندي .

لا أصدق حقًا ما تراه عيني وتسمعه أُذني، من المؤكد أنني أنا المختل! كيف وصل البشر لهذا السوء؟ لا أعلم! كل ما أعلمه الآن أنني سأستسلم لمصيري، لأنني حقًا تعبت ولن أقدر على محاربة البحر وحدي، وبالفعل أرخيت أعضاء جسمي وجعلت جسدي يطوف على أعلى المياه ليأخذني البحر كيفما شاء، وقتها بكيت بكاء مرير على أن النهاية مؤسفة للغاية، حزنت على أمي التي سأسبب لها حزن طوال الحياة، وقتها كنت أريد أنا أعانق أخي جاسر وأقول له سامحني فأنت في كل مرة كنت على صواب لأن لديك تجارب بحكم سنك وخبرتك، واستسلمت وقلت الشهادة: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ثم تحدثت للبحر قائلا: هيا يا بحر ابتلعني بهدوء وسلام عليكم أيها البشر سامحكم الله على هذا السوء.. وبدأت أهوى بقاع البحر حتى لاحظت عيناي والماء بدأ يغمرها لانش سريع يقترب منّي، بالفعل جاء لإنقاذي ووقتها عاد الأمل من جديد وقاومت رغم وجع ضلوعي لأطفو من جديد على سطح البحر، ثم بعد أن أصبح اللانش بمقربة منّي ألقى لي طوق النجاة لأتمسك به وأخذ الرجل ليشُدني إليه حتى جعلني على ظهر المركب السريع وحتى الآن لا أصدق ما حدث، فمراقبة أخي وخوفه عليّ هي من كتبت لي عُمر جديد .

* * * *

دنـــــيـــــا دوارة

لقاء ثم وداع ثم خيانة ثم كما تدين تدان ولا أحد يعلم كيف كل هذا حدث؟!

النهاية

كادت ضلوعها تخرج من جسدها وهي تتأوه لما يحدث لها نظرت لصورته وهي تقول:

- حسبي الله لسوف أشتكيك لله لأنه أحن عليا منك ومن الجميع.

ثم أخذت تتأوه بشده وتقول:

- يا الله خفف عليّ هذه السكرات، نعم أنا من اخترت الموت ولكنك رحيم بي.

ثم أخذت تتقيء سائل أبيض من فمها لتُعلن النهاية وهي تنظر له وهي آسفه على كل ما حدث لها بسببه وأُسدل الستار عليها.

البداية

في البداية أنا أدهم المطراوي شاب في الفرقة الثالثة حقوق عين شمس، وبطبيعة كلية الحقوق معروف أن لا أحد يقدر على أخذ حق من باطل من دارسيها، لأننا نعلم القوانين وصغراتها ونعرف كيف نطوعها لنا، المهم إني كنت بطبيعة حالي أعيش حياتي بالطول والعرض مثلما يقولون كأي شاب، ألهث خلف أي فتاة خلقها الله بشعر، أعيش معها فترة وأملُّ منها فأختلق سبب لأتركها وأنا ليس عليّ أي ذنب، ما يُثيرني حقًا أن الفتيات لا يعلمون أنهم يجلسون أمام المرايات بالساعات ليقوموا بتهذيب وجوههم وأن الشباب بالأساس لا ينظرون إلى الوجوه للأسف ينظرون لمناطق أخرى هي من بها المتعة كلها، وهذا ما يجاهد الغرب من أجله بذل الجهد وهو أن يختلقوا موضات كل فترة تُبرز مؤخرات الفتيات ومن الأجمل ويا له من شيء مقزز، وأعتذر بشدة على التعبير ولكن هذه الحقيقة يا فتاتي يا من تقرأين أنتِ مُجرّد سلعة في أرض مليئة بمن يُعاينون وهم كُثر، ندخل في موضوع قصتنا الأهم أن آخر فتاة خرجت معها وعشت معها بالطول والعرض في يوم ما قالت لي:

- أدهم أنت عارف أنت إيه بالنسبالي؟

نظرت لها وقلت في سري: أكيد هتقول نفس اسطوانات إللي قبلها

- ها إيه يا حبيبتي قولي خير

- أنت الدنيا وما فيها، القمر ونجومه ولياليه والشمس الساطعة إللي بتنور كل الكون أنت نقطة ارتكاز حياتي عارف ده معناه إيه؟

- إيه ؟

- يعني أنت محور كل حياتي، لو يوم اختفيت هكون أنا ضعت ومماليش وجود أنت فاهم ده ولا لاء؟؟

- فاهم طبعا يا حبيبتي، أكيد ربنا ما يحرمنيش منك يا حياتي.

- ولا منك يا قلبي، أدهم هقولهالك تاني أنا مليش غيرك في الحياة دي، والدي وأمي ميتين ومماليش حد، إياك يوم تغيب عنّي.

- وعد حبيبتي عمري ما أغيب عنك يوم.

عدت الأيام واتخنقت من العلاقة دي وجت ساعة الفراق اتكلمنا فون

قولتها صراحة:

- ياسمين سامحيني أنا مش هقدر أكمل اِحنا طباعنا غير بعض وحقيقي خايف بعد فترة نكره بعض، الأحسن نفارق دلوقتي قبل ما ييجي يوم فعلا حقيقي ندعي على بعض.

انتظرت ردها ولكن طال صمتها، وبعدها كل ما سمعته من المكالمة كان عياط بطريقة هستيرية، مش هكذب عليكم كرهت نفسي ساعتها لأن البنت دي حبتني بجد أوي وأنا مش بحبها نفس حبها ليا أو الحقيقة اني مكنتش بحب أصلا.

وفجأة سمعتها بهستريا بتقول:

- ليه؟ ليه؟ ليه عملت كدا فيا؟ حرام عليك ليه كل ده؟ عشان سلملتك نفسي تحضن مرة وتبوس مرات وكتير من صحباتي حظروني وأنا آقول مستحيل أدهم ده بالدنيا عندي، في الآخر تقولي خايف نكره بعض! فهنسيب بعض ملعون أبو شكلك، مش عايزه أعرفك تاني ولا أعرف أي حد، أنتوا كلكم صنف وسخ، ده أنا غيرت حياتي عشانك، وعملتلي فيها تعرف ربنا وخلتني أتحجب وألبس عباية، كنت زي الخاتم في صباعك تقولي يمين آقولك معاك، تقولي شمال آقولك أنا تحت أمرك، أخرتها تكون كدا؟ سؤال واحد جاوبني بصدق وخليك راجل أنت حبتني ولا لاء؟

- يا ياسمين أكيد حبيتك، بس اِحنا حقيقي مش متفاهمين.

- اتفووووووو عليك، أنت كذاب وحتى في إنك تعترف بالحقيقة مش قادر تواجهني بيها لأنك مش راجل، مش عايزه أعرفك تاني، وصدقني من قلبي بتمنى يحصل كدا يا في أُختك يا في بناتك ده لو واحدة اتجوزتك، وبكره تعرف مرارة بنت مكسورة وتعرف يعني إيه بنت يتلعب بيها ووقتها الندم مش هيفيدك ووالله ربنا هيجبلي حقي وأنا فوضت أمري ليه، لأني مليش غيره ويا رب أمشي من دنيتكم القاسية دي عشان هو أحن منكم .

اغلقت الهاتف وهي تقوم ببكاء هستيري، وقتها أحسست أن خنجر إنغرس في صدري وهذه المرّه كانت غير كل المرّات السابقة وأتمنى لا يحدث مكروه لها لأن وقتها لن أسامح نفسي حقًا.

في بداية يوم جديد خرجت مع زميلة جديدة اسمها مران، كانت فتاة غير كل الفتيات ولا تتعجبوا نحن كل من نعرفهم في البداية نقول هذه الإسطوانة التي شُرخت مئات بل ألافات المرات، خرجت معها لنشرب قصب معًا وظللت أنظر لجمال عودها الذي هو غير حقًا، وإذ بشيء ينهال عليّ ضربًا من ظهري وأُفاجئ بياسمين انعقد لساني ولم يعرف النُطق وأخذت تقول - ده حتى الميت بيقعدوا ٣ أيام عزاء و٤٠ يوم حداد أنت تاني يوم مع واحده ياخي اتفووووو عليك.

أدارات ظهرها لهم وأكملت سيرها ونظرت إليه مران بإشمئزاز لتقول:

- بقى كمان كنت بتتسلى بواحدة قبلي وجاي تكمل معايا تسليه روح ربنا ياخدك أما إنسان وقح حقيقي.

وقف أدهم شارد الذهن لا يعلم ماذا يحدث له، ولماذا كل شيء ينخرب مرة واحده.

في منزل ياسمين ليلا

أخذت ياسمين تتكلم مع نفسها حتى فقدت عقلها، فكانت الصدمة شديدة عليها وبشده وبدون تفكير أخذت حبوب مهدئة كانت تتعالج بها أوقات الإكتئاب الحاد، ولكن لم تأخذ حبة واحدة بل أخذت ما في العلبة جميعها، ثم أحست بألم شديد كادت ضلوعها تخرج من جسدها وهي تتأوه لما يحدث لها، نظرت لصورته التي كانت تحتفظ له بها وهي تقول حسبي الله لسوف أشتكيك لله لأنه أحن عليا منك ومن الجميع ثم أخذت تتأوه وتقول يا الله خفف عليّ هذه السكرات، نعم أنا من اخترت الموت ولكنك رحيم بي ثم

أخذت تتقيء سائل أبيض من فمها لتعلن النهاية وهي تنظر له وهي آسفه على كل ما حدث لها بسببه وأُسدل الستار عليها.

وفي الليل شعر أدهم بتأنيب ضمير شديد قال سوف أكلم ياسمين اعتذر لها وأعود لها، فهي ليس لها أحد، ثم طرق طارق عليه ثم قال:

- تفضل.

دخلت أمه قائلة

- أدهم إلحقني.

- في إيه يا ماما مالك وشك أصفر حصل إيه؟

- اختك أسماء طلعت على علاقة بشاب ومش عارفه أعمل إيه.

وقف أدهم مذهولا، لا يعلم ماذا يقول وماذا يفعل، فكان كالصنم وظل يردد بهستيريا أنا السبب، أنا السبب، أنا السبب، ليه يا رب ليه؟ يا رب ليه؟ يا رب هما ما ذنبهمش حاجة، أنا السبب، اِنتقم منّي أنا مش هما، دنيا دوارة فعلا سامحيني يا ياسمين سامحيني يا أسماء أنا السبب يا رب .

* * * *

غـبـــي لـــم يـــفـــهم الـــــدرس

كُنت كالعابد بالمحراب، كُنت كالنبي بلا وحي، كُنت ملاك على صورة إنسان ولكن للحياة رأي آخر.

كنت اسأل نفسي دائمًا، كيف للإنسان أن يصل بِه الوضع يومًا ما أن يصبح غير قادر على خدمة نفسه؟ وكيف يأتي يوم عليه وينسى أقرب الناس له ويصبح بحالة لا وعي بأي شيء؟

حتى وأنا في صحتي وكامل عنفوان شبابي الثلاثيني، أصابتني صدمة عاطفية على إثرها أتى مرض عضال نفسي، تسبَّب بعجزي الكامل لمدة عام كامل مع فقدان ذاكرة وتشويش على أشياء وأشياء، وقتها فقط عَلِمت أن الله كان يريدني أن أصل للإجابة التي ظلّت تراودني ولكن كانت الإجابة قاسية حقًا كل القسوة، لدرجة أنني ظللت ألعن اليوم الذي فكرت بِه بهذا السؤال، اللعنة عليك يا سيد وعلى أسئلتك، وظللت أتقرب وقتها إلى الله كمَن هو موشك على الموت وقلت لنفسي: سأهجر كل حرام لا تطيبُه الفطرة السوية. وبالفعل؛

كُنت كالعابد بالمحراب، كُنت كالنبي بلا وحي، كُنت ملاك على صورة إنسان، حتى أتاني اليوم الذي تحرَّرت بِه وعُدت لكامل صحتي وتعافيت من كل أثر نفسي، ووقتها تناسيت كل شيء.. الألم، العجز، الموت، وكنت أستغرب عندما أسمع الأحاديث التي جاءت عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم تقول أن الإنسان في الآخرة يُغمَس غمزة في النار وهو كان من أنعم أهل الأرض ويسأله الله عز وجل:

- هل رأيت خير قط؟

فيقول:

- لا والله يا رب

ويحلف، وهكذا يأتي بأفقر أهل الأرض ويُغمَس غمزة في الجنة وهو كان من أشقى أهل الأرض ويسأله الله عز وجل:

- هل رأيت شر قط؟

فيقول:

- لا والله يا رب

علمت وقتها كيف يحلفون مع إن هذا لم يكن الحقيقة، ولكن لأن الفرحة تُنسي، وهكذا الألم.

وقتها تبدَّلت لشخص آخر يعيش لنفسه فقط يفعل كل الموبقات وتناسيت أن هذه الدنيا دوّارة وتُلهي حقًا كل اللهو،

حتى أتى يوم ما وأنا أعبُر الطريق وكان هناك شاب في سن المراهقة يعبُر من خلفي بخطوات، ثم وأنا أتفقد الطريق من جانبي إذ بسيارة مسرعة تأتي علينا وتقترب بشدة وتعلو مع اقترابها دقات قلبي لأن الشارع عريض وأنا ما زلت بالمنتصف ونظرت خلفي لأُنبِّه الشاب أن يسرع ولكنُه كان مُنشغل بالهاتف ولا يُلقي بالًا، بل والأدهى يضع سماعة على أُذنيه تفصله عن كل ما حوله، فقُلت في سخط:

- تبًّا لهذا الجيل بكل تكنولوجياتُه.

ثم ظلَّت تقترب السيارة أسرع وأنا تلهث خطواتي أكثر وأكثر وبنفس ذات الوقت قلت للشاب بأقصى صوت لدي:

- حاسب يا غبي**!**

ونظرت للسيارة؛ فإذا بها على بعد أمتار وإذ فجأة بشدٍ عضلي يجتاحني مما جعلني أقف مرغمًا لا أستطيع الحركة، وقتها ألقيت سُبَّة للقدم وعلمت أنني ميت لا محالة فألقيت نظرة أخيرة على السيارة التي تأتي بأقصى سرعة نحوي وصاحبها يلهو مع رفيقتُه ثم أغمضت عيني لأذهب حيث مصيري.

وبلحظات مرَّت كل لحظات حياتي أمام عيني، عندما كُنت في الطفولة متمردًا على جميع مَن حولي.. ثم وأنا في العشرينات في قمة عشقي ورومانسيتي.. وعندما دخلت الثلاثينيات وعندما أُصِبت بالعجز وفقدان الذاكرة المؤقت وعندما عاهدت الله أن لا أعود لذنبٍ مرة أُخرى، وعندما استعدت كامل صحتي ونقضت العهد مرة أُخرى بل كنت أُقدم على كل ما يغضب الله بكل جراءة، والآن سأذهب إلى الله بكل قذاراتي وأنا لم أجد وقتٍ لأُكفِّر عمَّا بذر مِني.

حقيقة لا أعلم لماذا عندما نكون في حالة ضعف نلجأ إلى الله والروحانيات، وعندما نكون في حالة قوة نبعد عن الله بل ونُحاربه بكل ما أُوتينا من قوة**؟!**

ثم في لحظة سمعت إرتطام حاد وتوقف كل شيء... النفس، التفكير، دقات القلب، الشعور، الألم،

ثم سمعت بعدها:

- لا حول ولا قوة إلا بالله، البقاء لله مات بسبب طيش شاب محدش علمُه يعني إيه مسؤولية وأرواح ناس، لاء وكمان يهرب، بس إن شاء الله الناس تلحقه بعربياتهم ويتحاسب...

ثم سمعت صوت آخر يتدخل قائلًا:

- ربنا يرحمه مات بسبب الزفت الموبايل إللي ماسكُه، يحرق التكنولوجيا والموبايلات كلها إللي بقت فراق إجتماعي مش تواصل إجتماعي..

وأخذت بعدها أقول: ما هذا؟ لماذا يتجاهلونني ولا يتحدثون عني؟ وهل أنا مُتّ وأسمع كل ما يدور حولي؟

من الواضح أن أفلام الأبيض والأسود كانت مُحِقة أن الميت تخرج روحُه ويرى كل مَن حوله ويسمعهم، إذا كان الأمر هكذا فما أجمل الموت وحتى الإنسان يتحرك كيفما شاء في هذه الدنيا ويرى أماكن جديدة، من اليوم لا يحتاج المرء لفيزا لدخول بلد ما سأمرح وألهو وأطوف العالم كُله.. شكرًا يا رب أني مِت

ثم وإذ بي في غمرات سعادة تفكيري هذا أشعر بأن أحد يسكُب ماء على وجهي فقُلت:

- هل لحقوا بهذه السرعة يضعونني على منضدة الغُسل ويغسلونني!؟

ثم سمعت أحد يقول:

- يا أخ قوم وفوق الله يكرمك مش ناقصة عطلة. أنا عارف يوم التلات ده لازم حاجة تحصل فيه تشقلب اليوم كُله.

ثم قلت في تفكيري:

- اه والله يوم التلات دايمًا مش بستريحله، ويشاء القدر أموت يوم تلات. وبعدين حد قالك تيجي تغسلني ما دام مستعجل ما كنتش تيجي وبعدين أقوم إيه؟ ده إيه المجنون ده بقى؟ هو مش عارف إنُه جاي يغسِّل ميت؟ أُمَّال المية إللي مغرقني بيها دي إيه؟!

ثم سمعت بعدها صوت أُنثوي يقول:

- عن إذنك أنت أنا هفوّقُه.

بعدها شممت رائحة عطر نفاذ، صراحةً قام بإشعال غرائزي ووجدت نفسي أعي أنني ما زلت حي وأتنفس، ما هو ليس بمعقول أن الموت بِه عطور وأصوات رقيقة هكذا. ثم

فتحت عيني لأجد إمرأة في غاية الحُسن والجمال ذات وجه بيضاوي، وشعر طويل ناعم أملس كستنائي اللون، وبشرة بيضاء ساطعة البياض، وجسد ممشوق غاية القوام، ثم وجدتها تنظر لي مبتسمة قائلة:

- حمد الله على سلامتك، في حد يقف قدام العربية كده وما يتحركش؟! ده أنت قلبك خفيف أوي. ولولا الراجل ده إللي شدَّك بسرعة كُنت مُت ويَّا الشاب التاني إللي وراك بالظبط..

ثم نظرت حولي لأرى مجموعة رجال بأوجه ضارية مقتضبة وقُلت في نفسي:

إذا كان هؤلاء الرجال يفيقونني والله ما كُنت عُدت للحياة. بل كُنت هعتبر نفسي في حساب منكر ونكير.

ثم نظرت لها مُبتسمًا قائلًا:

- شكرًا ليكِ.

وتفقَّدت ببصري الرجل الذي أنقذني وُقلت:

- وشكرًا للراجل إللي أنقذني، بس الحقيقة أنا مش قلبي خفيف أنا حصل لي شدّ عضلي بسبب مرض قديم عندي وما عرفتش أحرَّك رِجلي.

ثم وجدتها تقول وهي تنظر لهم:

- طب لو تسمحوا تشيلوه وتحطوه عندي في العربية، أنا هوصَّلُه.

ثم قُلت بإبتسامة تفضح وجهي:

- إذا كان كده ماشي، مع إني ما بحبش أتعب حد لكن ما دام أنتِ مصممه اوك مفيش مشكلة.

ثم سمعت صوت داخلي يقول:

- لسه مصمم تمشي زي ما أنت بقذاراتك؟ أُمال فين الخوف من ربنا وإنك كنت بتتمنى من ربنا يمهلك وقت بس تصلح فيه أخطائك؟

ثم قلت في نفسي ردًّا على نفسي:

- بكرة إن شاء الله هصلَّح نفسي، وبعدين الحي أبقى من الميت، سيبني أعيش شوية، مش كفاية الموت إللي عشته ودقايق الرعب دي، خلينا نفرفش وبعدين البنت جميلة أوي، ده الواحد ما يكونش راجل لو ما استجابش ليها، وأنا إنسان والإنسان ضعيف يا صديقي.

ثم سمعت أحد خلفي يقول وهو يحادث أحد في الهاتف:

- غبي ما فهمش الدرس إللي إديتهولُه وعشان كده سقط، أعمل إيه بعد ما جبتله الإجابات لحد عندُه أكتر من مرّة وقولتله يعمل إيه عشان ينجح وكل حاجة مُدوَّنة في الكشكول وفي الآخر برضو سقط وده لأنه غبي وما فهمش الدرس.

* * * *

قــبــل فــوات الأوان

محتاجه أقعد معاك شويه يابنى هكذا قالت أم يوسف.

- نرجع من السفر ونقعد يا أمى الدنيا مش هتطير، وأهو يوم بنفرج بيه عن نفسنا.

- طيب يابنى إللى تشوفه .

على ساحة الشاطئ يقف يوسف ناظرًا للبحر ويقول ما أجمل الحياة اليوم .

يوسف: يلا بينا يا جاسر نتصل بباقى الشله عايزين نخربها انهاردة ونستمتع.

جاسر: هو ده الكلام وسيب عليا الاتصالات.

الو أيوة يا مهند، يلا تعالى على الشاطئ احنا والعائلة وصلنا وهات معاك الواد محمد وتامر .

يوسف: متجهآ لأمه عايز سندوتش لأنى ميت من الجوع يا ست الكل.

- بعد الشر عليك يا حبيبي امسك سندوتش طعميه هيسد معاك.

أم جاسر ناظرة لابنها وهي تقول:

- وأنت يابني مش هتفطر؟

جاسر : لا يا أمي مليش نفس دلوقتى، شكرًا يا ست الكل.

أم جاسر : خليك كده لغاية ما هتختفى.

جاسر : موجه كلامه لـ يوسف، وادي الصحبه كملت بينا ننزل البحر .

مهند: موجه كلامه للعائلة نورتوا إسكندرية والله.

أم يوسف: منورة بيك يابنى.

يوسف قائلا لأمه مش عايزة حاجة يا ست الكل؟

أم يوسف: متدخلش فى البحر أوي وخلى بالك من نفسك وأنتم يا أولادي إياكم تخلوه يدخل جوة أوي.

الأصدقاء فى نفس واحد متقلقيش عنينا ليكِ .

كان كل من يوسف، جاسر، مهند، تامر، محمد، يقفون على الشاطئ أمام البحر والشمس ساطعة، منظر خلاب رائع مع الصخور والشعب المرجانية ويتوسط الشاطئ

منط له سلم مرتفع ومراكب على الجهه اليسرى، والجهه اليمنى أطفال يمرحون بالكرة ونساء وشباب ورجال وشيوخ...

مهند قائلا: ياه على روعة صنع الخالق عز وجل، سبحان من أبدع وصور، بجد أنا مبسوط إنى مع أجمل صحبه عرفتها.

محمد مكملًا الحديث قائلا: عارفين نفسى فى إيه؟ نفسى أخلص جامعة واشتغل شغلانه كويسه وأقدر أجيب بيت على البحر ويكون عندى أسرة، دة كل حلمى فى الحياه.

جاسر : يليه قائلا هو كل واحد فيكم جاي يعيش ويتمنى أحلامه هنا، طيب، وأنت يا تامر مفيش كمان تخيلات عندك يلّا المايك معاك.

تامر: امممممم أنا حلمى بسيط جدًا، أتجوز إللى بحبها وإللى لسه لغاية دلوقتى أصلا معترفتش ليها، ولا كلمتها، هو من بعيد لبعيد ويكفيني إنى شايف فيها كل صفات الزوجة الصالحة.

يوسف مُعلقًا: يا راجل معترفتش ولا كلمتها، الله على الحب الصامت، حسبي الله ونعم الوكيل فيك يا شيخ.

تامر: يا يوسف أنا بنظر لرضا ربنا قبل كل شئ، ويوم ما الوقت يسمح وأكون قادر هروح لمنزلهم ولوالدها وأكلمه، الرجولة تحتم عليا أحافظ عليها من نفسي، وعلشان ربنا يبارك فى زواجنا وصدقنى أنا واثق عمر ما ربنا هيخذلنا لأنى بحبه وبخاف يزعل منّي.

محمد قائلًا: والحب مش حرام بقى يا شيخ؟

تامر: مين قال الحب حرام! إللى بيحصل من تجاوزات باسم الحب هو إللى حرام يا محمد.

جاسر: فعلا عندك حق يا تامر ربنا يصلح أحوالنا يارب.

يوسف: مش يلّا بقى ننزل ولا إيه يعنى هنقضيها كدة؟

جاسر: يلّا بينا بس خلّى بالك يا يوسف، تامر على قده فى السباحة.

يوسف : متقلقش مش هنغوط أوى.

واصطفوا جميعهم فى مسابقة من سيدخل إلى العمق أكثر، حيث مهند دخل فى تسارع وسباق، ويتبعه يوسف ثم جاسر ثم محمد ثم تامر

تامر قائلًا: ماقدرش أعدي أكتر من كده علشان بتعب ونفسي قصير.

يوسف: مفيش مشكلة يلّا نغوص تحت المياه ونتأمل معالم الأعماق.

أم يوسف بالخارج على الشاطئ تتكلم مع أم جاسر قائلة:

- شوفى العيال دخلوا فين إللى محظراهم.

أم جاسر: متقلقيش ربنا هيحفظهم إن شاء الله.

أم يوسف: البحر غدار وأنا بخاف على يوسف أوي، أنتِ عارفه مليش غيرة بعد ما أبوه مات وبجد حلمى أفرح بيه قبل ما أموت.

أم جاسر: بعد الشر عليكِ، ليه الكلام ده دلوقتى، لزمته إيه عيشى وقتك.

أم يوسف: دي الحقيقة يا أم جاسر مش هنهرب منها، والله أنا عارفه إنى مضيئاها عليه شوية لأنى بحبه أوى وبخاف علية، ونفسي يعرف قد إيه بحبه وبحب ليه الخير.

أم جاسر: ربنا يحفظك ليه ويحفظه ليكِ، أنا هخرج أجيب أنا الغدا وأجيلك، إياكِ تهربى أنا بقولك أهو.

أم يوسف: أهرب أروح فين؟ ده أنا عيني عليهم.

يوسف قائلا لجاسر: فى شد وجذب فى البحر والموج بيعلى خلّي بالك.

جاسر: ما تقلقش ويلا يا مهند روح جيب تامر مش عارف إيه الخوف ده؟

محمد: ياعم كل واحد عارف قدرات نفسه سيبه مستمتع كدة.

يوسف: بقولكم إيه أنا هطلع السلم العالى ده وأقفز منه، من زمان نفسي أقفز من مرتفع عالي.

لحقهم تامر قائلا: لا متعملش حاجة أنت مش خبرة فيها ومش متقنها، احنا مش لاقينك في الشارع.

يوسف مُعقّب قائلا: الحياة من غير مغامرات ماتكونش حياة يا تامر.

مهند بحماس قائلا: طب يلّا ورينا أجمل قفزة بقى يا عم المغامر.

يوسف: فى اتجاهه للسلم، وأخذ يصعد ويصعد ويُحدّث نفسه قائلا:

- إيه كل العلو ده! ده أنا بيجيلي دوار لمّا بطلع فى أسانسير وعامل فيها بطل، اه ياني.

أم يوسف بعدما رأت ابنها على سلم المنط علا صوتها قائلة:

- يا يوسف، يا يوسف متطلعش، تعالى عاوزاك.

يوسف: اممم أدي آخرة إللي ياخد أمه معاه! خوف زياده عن اللازم.

يوسف رد عليها قائلا بصوت عالٍ: متخافيش يا أمى جايلك.

جاسر في ريبة وشك ناظرًا لمهند قائلًا: هو فى إيه؟ ماله الموج بيعلى أوي! أنا حاسس إنى بتسحب.

مهند: فعلا البحر شكله فى حالة غضب وهيقلب بقولكم إيه، محمد، جاسر، تامر، يلا بينا نطلع على الشط الوضع مايطمنش.

يوسف ناظرًا لهم بعد ما وصل لأقصى ارتفاع، همّا فى إيه؟ شكلهم متغير وبيرجعوا.

ثم تحدث مع نفسه قائلًا: منظر البحر من فوق يخوف فعلا، يا ربى يعني كان لازم أعمل فيها شجيع السيما وآقول أقفز! يلّا خليني أستمتع بالمنظر شويه قبل ما أقفز القفزة المهببة دي.

جميعهم يتراجعون ويقاومون الموج ولكن كان تامر الوحيد الذي يقاومه الموج بأقصى قوته.

يوسف: هو في إيه الموج جاي عالي أوى ليه كدا! وإيه الهوا الشديد ده كمان، ربنا يستر.

تراجع الجميع على الشط معادا تامر! ثم ادركوا أن تامر ليس بينهم، ثم جميعهم فى نفس واحد قالوا: فين تامر؟

جاسر: أنا شايفه هناك عمّال يشاور بإيده، يا خبر! شكله مش عارف يرجع الموج بيسحبه.

يوسف يقف فى ذهول يقاوم الهواء الشديد حتى لا يلقيه أرضًا.

تامر بأقصى صوت عنده قائلا: الحقونى مش عارف أرجع.

ولكن لا مجيب، ثم تحدث إلى نفسه قائلا:

- يا رب أنا عارف إنى عملت ذنوب كتير سامحنى.

يوسف ناظرًا متابع المشهد وبأعلى صوت قال: تامر!

وبسرعة قفز فى البحر فى شجاعة لم ير مثلها متحديًا كل مخاوفه.

أم يوسف شاهدت هول الموقف ثم قالت بزعر: يوسف ابنى..

وجرت مسرعة إلى البحر تحاول أن تنقذ ابنها وهى ترى غضب البحر وتقلبه وبصوت عالٍ قالت: يوسف، يوسف، يووووووسف...

سمع يوسف هتاف أُمه ولكن ليس لديه حيلة، لا بُد أن ينقذ صديقه تامر ولكن للأسف المقاومة ضعيفة مع موج يهتز له كل شئ ويأخذ كل من يحاول أن يقاومه.

ينظر تامر ليوسف ويبتسم، وهو يعلم أنها النهاية لا محالة بعد الشد العضلى الذي أعاق قدمه عن المقاومة، ثم أخذ يقول كلمات الشهادة بعد أن وصلت الماء إلى الشفاه: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد.....

وفجأه غطّى الماء وجهه وتلاشت كل المعالم والرؤية من أمامه بعدما سحقته الدوامة مُعلنة النهاية إلى عالم آخر فيه سيحقق كل ما كان يتمناه والذى عجز عن تحقيقه فى هذه الدنيا الذائلة.

نظر يوسف لتامر والدموع تنفجر من عينيه على عجزه وقلة حيلته وهو يقاوم ولم يستطع الوصول ويرى صديقه يموت أمامه ولا يقدر حتى على مد يده له ويسارع الموت ولكن لا حيلة.

تيبس كل من مهند، محمد، جاسر، فى حاله هلع مما رأوه وتساقطوا أرضًا من الصدمة وهم لا حيلة لهم ولكن كل ما قالوه إنقاااااااذ عايزين فريق إنقاذ.

وقفت أم يوسف على طرف البحر وبحركة هلع على ابنها وعلى ما يحدث تخطوا خطوات غير محسوبة وفجأه تنزلق قدماها فى البحر ويرتطم رأسها بصخرة كبيرة!

يوسف كان في حالة رجوع ومقاومة مع الأمواج ورأى أمه وهي تنزلق قدماها ثم قال بصوت مبحوح: أمي.

ظل يقاوم بكل ما أوتي من قوة وهو يغوص تحت المياه لعله يتفادى الموج، وشريط يمر أمامه عينيه:

- يابنى نفسي أقعد معاك شوية.

- يابنى أنا مليش غيرك.

- أنا عارفه مصلحتك ومحدّش هيخاف عليك قدي.

ورأى منظره وهو يتأفف من أمه وقتها، وتبريراته ورده عليها وفى حالة هستيرية ينظر حوله قائلا: أمي!

ويفقد وعيه للحظات ويسقط تحت الماء وفي آخر نفس له، تمتد له يد فريق الإنقاذ.

يخرج إلى الشاطئ بعد أن هدأ الموج وقد تبدل الحال من مرح وفرح إلى صويت وآلاااام.

ثم قال فى صوت قوي: أمي، أمي، أنتِ فين؟

انتظرته أم جاسر وعندما خرج من البحر أخذته فى حضنها وهي تذرف دموعها كالفيضان.

يوسف فى حاله هستيرية قائلًا:

- أمى فين؟

ثم ينظر إلى أقصى اليمين ويرى جثث كثيرة ثم يركض مسرعًا نحوها،

إذ به يرى صديقه تامر أولهم وينزل أرضًا وهو يبكي بشده عليه ثم ينظر إلى أبعد مسافة باحثًا قائلًا:

- أين أمي؟

وظل ينظر للجثث التى تليها حتى صار زاحفًا على الرمال ليجد جثة عليها اثار دماء واليدان مبسوطتان ينظر إلى الوجه ليجد أنها هي أُمه!

ينتابه حالة فقد وعي وينقل إلى المستشفى ويدخل فى غيبوبة من الصدمة.

- أمي مش معقول أنتِ هنا فى المستشفى؟

- الحمدلله إن ربنا أنقذك.

أنا يابنى هتلاقيني معاك فى كل مكان!

رسالتي ليك؛ رضا ربنا فوق كل شئ يابني وإياك إن ياخدك الأمل أوي وعيش اللحظه كأنها آخر لحظة وداوم على ذكر الله، صدّقنى الدنيا لا شئ بالنسبة للجنة

وإنما الصبر عند الصدمة الأولى، فـ أُصبر واحتسب ولا تقول إلا ما يرضي ربنا.

فتح يوسف عينيه فعلِم أنه في المستشفى وأنه واقع انكتب عليه، ورأى أنها كانت رؤية ونزل منه سيل دموع وهو يقول: أمى، أمى، إنا لله وإنا إليه راجعون.

*** * * ***

لـــعـــنـــة الـــفُـــقـــراء

عندما تُدهس أحلام البسطاء لا تصلح إعادة الحياة مرة أخرى.

في أرض فسيحة مملتئة ببنايات جديدة اللون، التي يسودها اللون الأصفر والبني حيث تتوسطها الحدائق التي بُنيت لُتزيّن الشوارع بالخضار من بعد الحطام، أُناس لم يجدوا من يحنوا عليهم ليفتح عينهم على الحياة، أُناس كان كل همهم هو كيف يوفرون لقمة عيش لمن يعولون وكانت سعادتهم في سقف يمنع عنهم أمطار الشتاء القارص.

وصل مصطفى عفيفي بعد أن انتهى من عمله إلى مكانه الجديد وكان الليل خيّم عليه ولكنه أصر أن يذهب لشقته لتسكن روحه بها ويهدئ فؤاده، أخذ يتطلع المكان الجديد الذي حصل عليه من خلال شقته التي استلمها للتو بالدور الرابع، وقف والسعادة ترتسم على شفتاه من بعد طول سنوات عجاف أخذ يسدد أقساطها من لحمه الحي وبعد أن أخذ جولة بالمكان صعد السلالم على عجلٍ ثم أخرج المفتاح من جيبه وأمسك به وفتح باب الشقة ليدخل ببطئ وهو لم يصدق نفسه والفرحة لم تَسِعه ثم أخذ يتكلم مع نفسه قائلا:

- أنا مش مصدق نفسي من الفرحة أخيرًا أخدت بيت جديد من القرعة إللي بتعملها الحكومة ورسيت عليا، ده أنا كان طول عمري صحابي بيقولوا عليا نحس يارب اللهم لك الحمد والشكر.

خطى خطوات قليلة باحثًا عن مفتاح الكهرباء ليضيء الأنوار، ووجده خلف باب الشقة، فتحه ثم أخذ ينظر للصالة ويتفحص كل شيء، كانت الصالة دهانها أبيض ناصع والأرضية من السيراميك لونه عسلي ووجد الأنتريه مرصوص على الجانب الأيمن والأيسر بلونه الرصاصي ملتحم باللون الأسود ووجد طاولة من الزجاج يوجد عليها طبق فاكهة ملون كديكور فقط، ورأى أعلى الحائط على اليسار برواز آية الكرسي مُعلقة، ثم تحرك من الصالة ليدخل أول غرفة ليكتشفها، وما أن ضغط على القابض فُتحت الغرفة وانقطعت الأنوار جميعها عن العمارة بالكامل ليتمكن منه الفزع ويسيطر عليه! ثم سمع صدى أصوات متداخله في بعضها تقول بصوت أجهش جهوري:

- لن تهنأ به، سوف نراودك أينما كنت الأن فقط علمنا من الذي بدل حياتنا جحيم وقضى علينا واحد تلو الأخر...

ثم سمع مواء شديد مع ريح شديدة جعلته يفقد السيطرة على نفسه وقال في فزع

- ياما الحقيني هو في إيه لكل ده وجحيم إيه عملته فيكم ده أنا بخاف من خيالي.

- إحنا الناس إللي كنا قبلك هنا واتهد البيت فوق رؤوسنا عشان أنت تعيش، دلوقتي دورك تمووووووت، بس إحنا مش هنموتك إحنا هنوريك لعنتنا شكلها إيه وتموت

ببطئ شديد عشان تعرف إن الفقراء لعنتهم مميته وإللي ييجي علينا لازم يموت ويخسر كل حاجة.

وفجأة فُتِحَت صنابير المياه بالشقة تلقائيا، ليسمع مصطفى صوت مياه قادمة اتجاهه ليجد ضوء ينير له ليرى شلال دماء يُغرقه بالكامل، وكانت آخر كلمات خرجت من مصطفى قبل أن يغشى عليه أسمعت جميع من حوله بالمنطقة قائلاً:

- لعنة الفقرااااااا لاااااااا.

فتح مصطفى عينيه ليجد نفسه في غرفة بيضاء وبجانبه أُمه وأصدقاء عُمرِه طاهر ورامي والممرضة التي أقامت على علاجه ثم قالت له الممرضة مبتسمه:

- حمدلله على سلامتك يا أستاذ مصطفى، ينفع كل ده يحصل عشان بتخاف من الضلمة طيب كنت خد حد معاك من صحابك بدل الموضوع كدا.

نظر إليها بسماجه وقال لها:

- الله يسلمك.

وقال في سره

بس بدل الموضوع كدا هبقى أخدك أنتِ المرة الجاية عشان لسانك ده يبطل كلام رخم كدا وأشوفك هتعملي إيه بِظُرف أهلك ده وقتها.

أخرجه من سرحانه أمه وهي تقول:

- مالك يابني حصلك إيه لكل ده؟ أنا عارفه إنك بتخاف من الضلمة لكن مش يحصلك كل ده!

- إيه يا أمي أنتِ جايه تسيحي ليا هنا ولا إيه.

ثم تكلم صديقة طاهر قائلًا وهو يضحك:

- بعد كدا هنبقى نخلّي حد معاه عشان ما يحصلوش كل ده .

ثم دخل رامي في حديثهم قائلًا باستخفاف:

- خليني أنا معاه عشان أنا بعرف ذر التحكم بتاعه إزاي.

أحنى مصطفى رأسه قائلا في نفسه:

أسوأ شيء على الوجود أن تصبح مخاوفك وكيانك مسار للسخرية ولكن لهم العذر لأنهم لم يروا ما رأيته ولكن يا مصطفى إلى متى ستظل توجد لهم أعذار ؟

صاح مصطفى بعلو صوته قائلا رادًا على نفسه:

- إلى أن يأتوا معي جميعهم وقتها فقط سيعلموا أنني في علم وليس حلم أو مخاوف مثلما يقولون.

نظرت الأم لإبنها وهي تقول:

- الواد اتجنن ولكن وماله هنروح معاك كلنا، أنا وصحابك عشان نديك فوق دماغك لمّا تعرف إن كل ده وهم من دماغك يا صرمة الصورم أنت.

خرجوا جميعهم من المشفى في اتجاههم للشقة حتى عدّت ربع ساعة أو أكثر تقريبًا ووصلوا إلى العمارة التي بها الشقة ثم سألته أمه قائلة:

- أنت في الدور الكام؟

- الرابع يا أمي

أخذ مصطفى يبتسم في نفسه قائلا:

- ليس لديكم حرية الفرار إلى الشارع بسرعة شديدة، كل ما عليكم مواجهة ما سترونه أيًا كان، اطمئنوا، ولتلقوا بي كلامكم الفارغ وقتها جيدا ولنرى حديثكم البارع.

صعدوا جميعهم واحد تلو الأخر حتى أصبح جميعهم مصطفّين أمام الشقة وأخذت أم مصطفى المبادرة بفتح باب الشقة هذه المرة ثم ظلّوا يدخلوا واحدًا تلو الآخر حتى أُغلق باب الشقة عليهم من تلقاء نفسه حتى أوجس كُلٍ مِنهُم بداخله خيفه وسمعوا جميعهم صوت كأنه يخاطب كُلٍ منهم على حِدا وكان هذا الصوت يقول:

لا أهلا وسهلا بكِ يا أم مصطفى، لا أهلا وسهلا بك يا رامي، طاهر، مصطفى، وإذ على غُره انطفئت جميع أنوار العمارة والشارع بالكامل مِما جعل أم مصطفى تقول:

- الله يخربيت شقتك واليوم إللي فكرت فيه تجيب شقه يا موكوس على عينك الحقني يا أبويا، داهيه عليكم كلكم.

ثم أمسك طاهر بصديقة رامي قائلين:

- يخربيت معرفتك يا بعيد، يا أمّا أنا عايز أجيلك مش عايز حاجة تاني ولا عايز أعرف الكلب ده.

وجه مصطفى كلامه إليهم قائلا :

- مالكم خوفتوا ليه؟ مش دي برضو تهيؤات متحطّوش حاجة في دماغكم شوية والنور هييجي وكلنا هنبقى زي الفل.

ثم صدر صوت آخر من خلفهم لا نور بعد اليوم حتى تفعلوا ما نطلبه منكم واحدا تلو الآخر وإن لم تفعلوا سَتُصيبكم لعنتنا؛ لعنة الفقراء.

صمتوا جميعهم من الخوف وانتابتهم الرعشة ولولا أنهم جمع لكان كل واحد منهم أغشي عليه منذ زمن، ولكن مصطفى كان أقلهم فزعا فهو تعود وأخذ مناعة مقاومة وقال بشجاعة رادًا عليهم:

- وإيه المطلوب عشان تتركونا في حالنا.

تبدل الصوت المتكلم ليسمعوا صوت رجل عجوز مُسن قائلًا:

إحنا إللي طالبينه منكم مش حاجة كبيرة، كل إللي طالبينه إنكم تسمعونا بقلوبكم إحنا اه ناس غلابه ومنمتلكش أي حاجة في دنيتكم دي، بس بنمتلك قلوب بتخاف على بعضها قلوب راضية باللي ربنا قسمه ليها وهي سعيدة بجد مش سعادة مزيفة زيكم إحنا ناس ممكن نقعد بالأيام مفيش أكل غير عيش وملح، وبنقول الحمدلله إحنا عمرنا ما اعترضنا ولا حتى إنكم أخدتم مساكنا، ولكن مش العدل إنكم تدونا ملاليم وتقولولنا دول بدل عشتكم إللي عايشين فيها، اه كنا عايشين في عشه ولكن كانت سترانا ودلوقتي سبتونا في الطل ذنبي إيه وأنا عجوز كدا أموت بحسرتي وأولادي وأحفادي يكون مصيرهم الشارع والكلاب تنهش فيهم والبرد يموتهم، مكانش نفسي أموت بحسرتي كان نفسي أموت في بيتي وحتى ده استكتروه عليا .

كان كل منهم يسمع حديث العجوز وابتدت الرهبه تنجلي منهم وبدأوا يعرفوا أنهم ليسوا عفاريت جائت لتثير الرعب ولكن ما هم إلا بشر حضرت أرواحهم لتحقق ما عجزوا عنه في حياتهم.

رددت أم مصطفى على صوت العجوز معقبه قائلة:

- بس إحنا ذنبنا إيه في كل ده، مش إحنا إللي عملنا معاكم كدا.

جائها صوت مختلف هذه المره ولكن كان صوت شاب في عمر الزهور مجيبًا عليها قائلا:

- ذنبكم إنكم ماقولتوش كلمة حق تنصروا بيها ضعفنا، حتى والبيوت بتتهد علينا قولتم أحسن خلّوا البلد تنضف، إحنا ماكُناش وسخين أوي كدا! إحنا ناس متوفرتش لينا أي وسيلة حياة إنسانية عشان نعرف نعيش، بدل ما كنتم تفرحوا إننا بنتشرد ومالناش مأوى كنتم تاخدوا بإيدينا وتعلمونا إزاي نعرف نعيش في دنيتكم، وطلبي ليكِ إنك ترحمي الضعيف وتبطلي تفتري على خلق الله بلسانك وأنتِ متعرفيش أي حاجة عن حياتهم، أنا مكانش نفسي أموت تحت البيت، كان نفسي أعيش عشان أعرف أصرف على أختي إللي ملهاش حد، ووقفت وقفه راجل خايف على أهل بيته ماينفعش يناموا في الشارع وعيون الأفاعي تنهش فيهم ولكن هدموا البيت عليا بلا رحمه ولا شفقه، بس الموت كان أحسن لأني لو عشت كنت هتحسّر إني عايش ومقدرتش أعمل حاجة فسلام عليكم استمتعوا بالدنيا ولكن افتكروا لينا لقاء عند رب اسمه الكريم العدل.

استيقظ مصطفى فزعًا على صلاة الفجر وتردد في أذنيه أخر كلمات في حلمه (لينا لقاء عند رب اسمه الكريم العدل)

لم يعرف ما هو المقصود بهذا الحلم؟ ولماذا أتاه، هل لأنه بانتظار الحصول على شقته التي حجزها ودفع لها رشوه حتى تأتيه في أسرع وقت وتتسهل له الأمور، تحير في أمره وظل شاردًا يفكر ويتسائل في نفسه هل يوجد ما يسمى بلعنة الفقراء؟

قام من على سريرة ليتوضأ ويصلي الفجر حاضرًا، وعزم على أنه سوف يقوم بزيارة مكان به أناس فقراء الحال ليسألهم عن هذه اللعنة وما تكون وبالفعل انتظر حتى أتى الصباح وخرج ليتجول في أماكن بالقرب من مقابر السيدة عائشة ومجرى العيون حيث الطبقة المُعدمة، ليشاهد حواري وأزقه أشبه بمقالب للقمامة ووجد بها أطفال بثياب بالية معدومة وبدون نعال يمرحون وسأل نفسه كيف لهؤلاء الأطفال أن يكونوا سعداء بحق، ثم أخذ يسير ليشاهد رجل كهل عجوز يمسك بالعكازات ويجلس يبتاع مناديل فاقترب منه وألقى التحية عليه وأخرج من جيبه نقود وأعطاها له وقال:

- ممكن اتكلم معاك يا حج شوية.

رد الرجل قائلا:

- أنا تحت أمرك يابني اتكلم.

- أولا إزيك؟

-الحمدلله والله نشكر ربنا على نعمُه.

- هو في حاجة اسمها يا حاج لعنة الفقراء؟

- تقصد يابني لعنة الفقر.

- عادي نمشيها لعنة الفقر الاتنين متشابهين.

- اه طبعا، دي أسوأ لعنة في الحياة.

- بتعمل إيه اللعنة دي يعني؟

- بتحني ضهرك قبل أوانه، بتخليك مش عارف تفكر ولا تعيش بتخليك عاجز عن كل حاجة، ومابتخلكش تعرف ترتاح يوم ولا لحظة حتى دي لعنة إللي بتصيبه بيموت بيها على مراحل وأسوأ موت إنك تموت يابني على مراحل، وأسوأ ما في اللعنة دي إنها ممكن تيجي على هيئة تفكير يشغلك ماتقدرش تنام ولا تعرف تباشر حياتك وبتتسمى بالتفكير المميت إللي برضو بيقتل صاحبه خلال أيام، طبعًا سمعت عن الأم إللي قتلت أولادها والزوج إللي قتل زوجته وأولاده .

- طبعًا سمعت عنهم وكل يوم بنسمع حاجات كتير زي دي.

- أهو دول يابني اتصابوا بلعنة الفقر ربنا يبعدنا عنها.

- طيب وهي اللعنة دي بتيجي للي عندهم أزمة مالية أو في حالة فقر مادي بس؟

- لاء يابني، دول مجرد أسباب لكن أساسها فقر العقل وفقر معرفة ربنا وفقر الرضا بالمقسوم وأنا أهو قدامك ماحتكمش على أي حاجة لكن سعيد وبشكر ربنا رغم إعاقتي إللي فيها ورغم إني عايش في غرفة جوة مقبرة لكن بالنسبالي جنة وأهي كلها أيام وهنمشي نروح للمكان الأجمل والأوسع فلازم نصبر.

- طيب إزاي أخلّي اللعنة دي ماتصبنيش؟

- بإنك إياك تاخد حق مش حقك، وإنك ترضى عن كل الأحوال إللي ربنا يقدرها ليك، وإنك ماتجيش يوم على حد غلبان فقير ملهوش حد ولا سند إلا ربنا لأن وقتها هتتلعن وتتأذي بأشر اللعنات.

سمع مصطفى كلام الرجل المُسن العجوز وأكمل طريقة وهو يشاهد عالم لم يكن على درايه كافية به سوى من الأخبار والأفلام ، كان يظن أنه أتعس أهل الأرض مع كل النعم التي يمتلكها ولكنه فطن أنه كان لا يمتلك القلب الذي يجعله سعيد، فكان يجهل موطن السعادة الحقيقي وحين سيره رآى شاب في مقتبل العمر ومعه زوجته وطفلة صغيرة بهدوم باليه أخذت تصرخ وتبكي وكان الشاب ينظر لها بقلة حيلة لا يعلم ماذا يفعل وقد أحناه الدهر، ثم على حين غُره رن هاتفه فأخرجه من جيبه ليشاهد رقم غريب يرن عليه فضغط على الزر مجيبًا قائلا:

- ألو

- أستاذ مصطفى معايا؟

- اه معاك، مين حضرتك؟

- معاك أحمد عبد السلام مسئول من البنك بكلم حضرتك بخصوص الشقة مبروك تقدر تعدي علينا عشان تمضي عقد الاستلام وتستلم شقتك في الحال.

- أسف مش هقدر استلمها وهاجي لحضراتكم أفسخ العقد وأتراجع.

ثم أغلق المكالمة ونظر للشاب والزوجة والطفلة التي هدأت من صراخها ووجد الشاب يحتضن ابنته ثم أخذ بيد زوجته وصاروا سويًا عابرين للطريق ونظر الشاب إلى الخلف فابتسم مصطفى وأكمل طريقه.

* * * *

مـــواطـــن غـــلـــبـــان

فتحت عيني لأرى بشر لا قِبل لهم رأيتني أقف وسط حشد رهيب مُهيب وأنا أتسائل بتعجب من هؤلاء؟ وأين أنا؟

ولكن لا أحد مُجيب كلُ في عالمه، نظرت عن يميني لأرى فتاة بصحبة أمها وعجوز لا يقدر على الوقوف لأتلفت عن يساري لأجد الرؤوس تتداخل ببعضها البعض وكلُ يتصبب عرقًا بغزارة.

وقفت أرفع حاجبي من فرط التعجب لأقول لهم أين أنا؟

ولماذا كل هؤلاء محصورون في هذا المكان الضيق؟

انتظرت لأجد تفسير ولكن كلُ هائم في أفكاره ينتظر مصيره المحتوم، سألت نفسي ترى هل نحن يوم القيامة الأن؟ نعم أنا أتصبب عرقًا غزيرًا والجميع أيضًا مثلي ولا أحد يرد عليّ، ولكن متى مُتُّ ومتى رجعت؟ يا إلهي عقلي سيُجن، أخذت أُتمتم بالذكر مهونًا على نفسي، وأقول يا ربي أريد أن أتخلص مما أنا فيه حتى وإنا كان مصيري ظلام مجهول. الأن فقط علمت كيف للإنسان أنه من هول موقف يوم القيامة سيقول أريد أن تنتهي هذه المآساة حتى وإن كان مصيري النار، الأن فقط أدركت كيف يمكن للإنسان أن تصبح وقفته أشد ألمًا من عذاب منتظر، ثم وأنا هائم في أفكاري سمعت اسمي ينادى عليه، معقول اسمي ينادى عليه أم أتوهم وبالفعل سمعته مره أخرى وأحدهم يقول:

- مواطن غلبان شقيان مهان، أين هو ؟

نعم أنا قادم

لا تتعجبوا هذا اسمي مواطن غلبان شقيان مهان، الأن فقط خرجت من شرودي وتذكرت أنني أقف على عتبات حجزي بالمشفى لدخول العمليات وكل هذا الحشد وتلاحم الأجساد والأنفاس ببعضها البعض، من أجل أن يسمح لهم بدخولهم مملكة الإنسانية ليتعافوا ولكن للأسف لا يعلموا أنهم يمرضون أكثر وأكثر وما أشد مرض النفس المنكسرة، نعم أنا للأسف في مشفى تأمين صحي، ولا تتعجبوا كيف للإنسان أن يتحمل كل هذا، لأنني ببساطة مواطن غلبان شقيان مهان.

* * * *

عـلـــى بـــوابـــة الـــهـــاويـــة

إحساس صعب إنك تفكر في الانتحار، بس أنا مفيش قدامي حل تاني، وعارف إني أنا إللي كان بينضرب بيا المثل وإني قريب من ربنا، وصل بيا الحال إني خلاص واقف على حافة الموت، طبعا مصدومين كلكم، بس دي الحقيقة حبيت إن دي تكون آخر رسالة منّي ليكم، يمكن تلحقوا بعدها تنقذوا غيري كتير، وياريت متحاولوش تنقذوني بقى وبلاش كلام النفاق إللي بتقولوهُلهم دايمًا، أنا خلاص فات الآوان وبعد لحظات هكون في دنيا غير الدنيا دي، دنيا أرحم من دي وأرجوكم أنا عارف كل إللي هتقولوه إن إللي بينتحر كافر وإني هكون في النار والله أنتم إللي كرهتوني في كل حاجة حرّمتوا على الواحد عيشته، سلبتوا منّي أبسط حقوقي؛ إني أعيش زي أي إنسان، سلبتوا منّي إحساس بريء حسيت بيه كان نفسي يكون في الحلال وبسببكم مشيت في الضلال، سلبتوا منّي حتى حريتي إللي ربنا المفروض خلقنا بيها، سلبتوا كرامتنا وكل حاجة وبقى الواحد عايش في جحيم الدنيا، فخلاص بقى مش فارقه بس أقولكم؛ والله ربنا هيكون أرحم منكم وهيسامحني يمكن يعذبني شوية بس هيكون أرحم منكم لأنه هو الوحيد العالم بإللي أنتوا وصلتوني ليه.

نسيت أعرفكم بنفسي:

أنا إدريس عبد السلام أو بينادوني بدكتور إدريس، مش فارقه كتير، احنا في مكان أصلا الدكتور مبياخدش حقه وكل إللي بناخدُه ملاليم في حين إن السواقين أحسن مننا في الدخل اه والله، واسألوا الدكاترة إللي ملهاش ضهر زيي كدا، ولا عندي بابا سابلي شقه اعملها عيادة ولا عندي حد حتى كان يصرف عليا، في اعدادي كنت عايش وحيد طوال حياتي، ماليش لا أهل ولا أقارب أو بالحقيقة عندي، بس إيه لازمة وجودهم وهما ملهمش وجود حقيقي ملموس؟

طبعا عايزين تعرفوا عمري كام سنة؟ الحقيقة اعتبروني لسه ماجيتش الحياة لأن العمر هو إللي بتعيشه وأنا صراحه معشتش، أو آقولكم اعتبروني عمري ٨ سنين ماتستغربوش ده عمري إللي عشته بجد مع إللي حبيتها، طبعًا نفسكم تعرفوا إيه إللي وصلني لكل ده؟ وإزاي شخص كان قريب أوي من ربنا فجأة اتحول لواحد ما يعرفش ربنا وقرر ينهي حياته بنفسه.

تعالوا نحكي الحكاية من الأول نرجع لأول أيام جينا فيها الدنيا اتربينا واتعلمنا حاجات محدّش قال بنتعلمها ليه، كان كل إللي عندهم هو كده ولازم تسمع الكلام، طب إيه هو الكلام؟ فهموني! وكان الجواب ديمًا:

- مالكش إنك تسألنا إحنا كبار.

طيب واحنا في مراحل عمرنا بنختار الحاجة إللي عايزينها وطبعا بنلاقي رفض لاء ماتدخلش الكلية دي لكن ادخل دي عشان إحنا شايفين إن ده الأفضل وبنوافق غصب عننا لأنهم طبعا هما إللي بيشوفوا واحنا متغمي عنينا.

وبعد ما كبرنا لقينا نفسنا قلبنا مال، ودي حاجة فطرية عادية وكأي إنسان طبيعي بنروح نتقدم للي بنحبه وفجأة نترفض، ونسأل ليه يتقال لينا انتوا تستاهلوا الأفضل وكل شئ قسمة ونصيب طب فهمونا ليه؟ ليه؟ وتنزل اجابات ومبررات عشان يوقفوا الحياة ليكم وكأنهم هما إللي مصيرين كل حاجة وإحنا ملناش إختيار.

ويوم ما نخرج بره طوعهم نبقى منبوزين من كل المجتمع وتنزل علينا اللعنات حتى بلدنا مبنعرفش نختار وبنشتغل الحاجة إللي تعيشنا وبننسى نفسنا ويوم ما نقرب من حلمنا نتلدع ماهو الأحلام في كوكبنا محصورة لفئة معينه من الناس، ده واقع كل الشباب عايش فيه مش كلام بقوله وخلاص...

وبعد ما نلجأ لأهل الدين يترد علينا بإن لازم ترضى ولأن ربنا شايف الأفضل وهو إللي بيعوض، طب يا أهل الدين عرفونا ليه كل ده؟ ليه ملناش حق الإختيار؟

دي الحقيقة، إحنا جينا وكل حاجة بتتفرض علينا وملناش إننا نسأل، ويوم ما نسأل يتقال لينا في حاجات مينفعش تسألوا عنها إللي هو إزاي؟ ده أبسط حقوقنا السؤال ونعرف الأسباب، فالحقيقة إحنا جينا فى الحياة من غير ما نختار نيجي ولا لاء، وكمان اتفرض علينا حاجات ولازم نعملها من غير ما نعرف جواب حتى المثل العليا إللي بيتكلموا عليها؛ هما بيعملوا عكسها**!** طب بالله عليكم ده يبقى اسمه إيه؟

عرفتوا ليه أنا وصلت لكده؟؟

وإني سعيد عشان لأول مرة هختار بنفسي مصيري...

للعلم أنتم كمان كلكم بتوهموا نفسكم إنكم عايشين وأنتم من جواكم أموات ومفيش حد فيكم عنده شجاعة يعلن رفضه لكل ده، عشان خايفين تخرجوا بره جنتهم للأسف فاتحولتم زيهم وبقيتوا تقسوا على إللي زيي كتير وبسببكم وصلنا إننا نتخلص بنفسنا من حياتنا.... وفعلا ده أصعب حاجة مش قادر أقولكم ولا أوصف شعور إنك تبقى واقف وباصص للحياة لآخر مرة وبتودع كل حاجة بقرارة نفسك، إنك تتحمل ألاام غير محتمله، إنك تروح لشئ مجهول، أكيد يبقى إللي وصل للمرحلة دي مكانش من

فراغ ولأن إللي عاشوا كان أصعب بكتير، اه نسيت أقولكم إني كنت زمان ببص على إللي ينتحر وأستهزأ وأقول عمري ما أكون في يوم كده، ودلوقتي وصلت بمجرد خطوات لكده إياكم تفكروا نفسكم أكبر على حاجة، إللي بيقول عمره ما يكفر في يوم بيكفر وإللي بيقول عمري ما أزني بيزني وإللي بيقول عمري ما أقتل بيقتل نصيحه لما تشوفوا حد في بلاء قولوا الحمدلله إنه عافاكم، عشان والله لو عملتوا غير كده قسما بالله لـ في يوم تعملوا زيي.

دي كانت رسالة من منتحر مش عشان تترحموا عليه، ولا ياخدكم شفقه بيه لأن هو مش محتاج ليكم خلاص، هو رايح للي أحن منكم ماهو ياما إحتاج ليكم وخذلتوه وياما طعنتوه وياما استغليتوا طيبته وياما كذبتم عليه وياما دهستوه وحتى أبسط حقوقه فى إختيار حياته سلبتوها منه.

الرسالة دي عشان متضيعوش ناس تانيه، عشان تفوقوا وتنقذوا ناس كان نفسها تعيش بريئه وبعدما قرأتوا، منكم إللي هيتعاطف ويدعيلي ومنكم إللي هيلعن فيا، بس كل إللي هقوله إني هشتكيكم لربنا على إللي وصلتوني ليه وهقول يا رب سامحني معرفتش أعيش في غابة، وهقول يا رب أنا كنت في وسط ناس منافقه خداعة وهقول يا رب أنا طلبت الحلال كتير وهما خلوني أضل الطريق لغاية ما الخير راح مني ومسكنش إلا الشر وكان لازم انهي الالاااااام دي.

دلوقتي تقدروا تعيشوا حياتكم وتضحكوا في وشوش بعض وتاخدوا بعض بالأحضان بس كل واحد يخلي باله من السهم إللي انغرس في ضهره من مجرد حضن برئ .

أشعر الآن أني اختنق رويدا رويدا وتعتصر ضلوعي بين ثناياها وتخرج روحي ببطئ شديد وألم لا يطاق وكأن ضربات بالسيف تتوالى وتفتك بكل ذرة بجسدي أشعر وأني أحلق في سماء وأرض أخرى لا أرى ملامح لها ولا هوية ولكن حرارتها تكاد ترتفع رويدا رويدا ولكنها أفضل لدي مما كنت به فالآن استراحت نفسي عندما علمت مصيرها والآن أرى وجوه من حولي يتأملوا هذا الكائن الممدد أمامهم وكيف أتت له الشجاعة لخوض هذه التجربة السحيقة.

* * * *

لِأجلـــك أحـبـبـــت

عندما تعشق حقًا وقتها سيصبح حبيبك هو وطنك ستكتفي بِه عن العالم أجمع، فالحب يغير مصائر ويُحيي الأموات ويجعلك في سكرةٍ عن متاعب هذه الحياة، وهو أيضًا الذي من المُمكِن أن يَجعَلَكَ تمُوت قبل أوانك ؟

هَكَذا قرأت هذه المقولة بإحدى المنتديات ولكن وقتها كُنت لا أعلم هل حقيقي الحب مثل ما يقولون؟ وطن آخر ويغير مصائر! لا استوعب حقيقة هذه الكلمات وكيف أن الحب من الممكن أن يقتل إنسان ؟ أرى أنهم يبالغون بشدة بالرومانسية وبالحزن، ونظرًا لأنني كنت أبحث عن الحب والإهتمام فتعلقت مشاعري بصديق بالجامعة يُدعى رامز لا أخُفى عليكم أنني كنت بأول تَعَارُفنا لا أُطِيقُه ولَكِن مَن قَال أن الإهتمام يَفعَل المُعجِزات كَان صادِق حقًا، لأن الإهتمام جَعَلَني أشعُر بنفسي، والمرأة عندما تَجِد مَن يُشعِرها بِكيانها ويُعطيها كُلَّ التقدير ومَشَاعِر الحُب والكَلام المعسول لا بُد لها أن تُحِبَ بل وتَعشَق بِجنون، أُحب أولًا أن أعرفكم بنفسي؛

أنا شمس محمد العزيزي

البنت الوسطى لإخوتي أدرس بالفرقة الثانية أداب تاريخ جامعة الإسكندرية، ومن أهلِها أيضًا،

نعود لرامز الذي كان لي حياة كاملة أعلم أنَكُم من الصَعب أن تُصدّقوا أنه من المُمكِن أن تعشق البنت شخص أكثر من أهلها ولكن هذه الحقيقة؛

البنت مِنَّا عِندمَا يَستَحوِذ عَليها هذا الذي أسمُوه بالعِشق وقتها يكون عَشِيقها هو الأهل والعالم بِأسرِه بل هو ذاتها وكيانها.

لا أنسى فى يوم ما فى إحدى أيام الشِتاء القارص بالإسكندرية، لم أذهب إلى الجامعة لأكثر من يومين وكنا أنا ورامز لا نمرر يوم قبل أن نتلاقى عينانا بِبَعضِهم البَعض وإذ به وأنا أتحدث معه على الهاتف أراه قد حضر إلى أسفل منزلنا الذي يَطُل على البحر بالإبراهيمية وقال لي:

- أنا جيت تحت البيت دلوقتي ومحضرلك مفاجأة
- أيووووه عليك يا مجنون إزاي تيجي فى المطر والبرق والرعد ده أنت مش خايف تتعب ؟!

ثم ضحك وأكمل قائلًا:

- احنا فعلا تعبنا إننا ماشوفناكيش بقالنا يومين وكان لازم أكَفَّر عن ذنبي لأني أقسمت من ساعة ما حبيتك إن مَيعدّيش يوم من غير ما عيني تتملا بعنيكِ وعشان كده أنا جبت ليكِ هدية عن كل يوم ماشوفتكيش فيه.

ابتسمت وأنا تغمُرني سعادة لم استشعرها من قبل ولم أشعُر بنفسي إلا وأنا أهبِط درجات الدرج على عجلةٍ لهفةً لرؤياه، حتى من شِدّةِ الفَرحة لم أتذّكر أن أرتدي طرحه على شَعرِي، فكُنتَ أرتدي بيجامة سوداء رياضية نظرًا لأنني كُنت أمارس تمارين رياضية من أجل أن أشعر بالدفئ فى ظل هذا الجو القارس وأول ما نَزَلت رأيته يجلس على البحر ناظرًا لي وأنا آتي إليه وأعبُر الطريق وإذ بي وأنا اعبُر الطريق وأُشير له بيداي، رأيته ينظر لجهة أُخرى ويقوم بأقصى سرعة يركض إليّ ويقول بأعلى صوته:

- شَـــمـــس

وأنا أسمع أيضًا صوت كلاكس سيارة بِشدة نعم إنني كُنت فى عالم أخر ولا أخفى عليكم أنني عندما أراه أنسى كل ما حولي فأنا أستمد الأمان من داخل عَينَيهِ، وإذ بي فجأة يَحدُث أمر معاكس لكل شئ وأرى نفسي أرتَطِم بشده وأُغلِق عيني وأنا ابتسم وهو يقول:

- شمس

طبعًا الجميع قال لي أنني مجنونة، ومن حقهم والله .. وسمعنا أنا ورامز أبشع الألفاظ التى تسُبّنا ، فى وسط كل ما حدث أنا كنت أبتسم بشدة لأن ما حدث كان شئ يُشعرني بغمرة سعادة لا توصف عندما سمعت صوته وهو يناديني بأعلى صوت :

- شمس
وهو يركض تجاهي ومن خلفي أصوات كلاكسات السيارات لم أرى نفسي إلا ورامز يقفز عليّ ويحتضني بشدة وبحركة دائرية يجعل الإرتطام على الأرض له ويجعلني أنا فوقه حتى لا أشعر بألم، والمعروف أن من يرتطم في الأرض يقول أي من تعبيرات الألم ولكن وجدته يقول شمس شمس ثم قال :
- شمس كنت هموت وراكِ لو حصلك حاجه.

ثم بإبتسامة وسعادة قولت له:
- أنا وأنا معاك مبخافش من الموت لإني عارفه إنك أنت الأمان ليا وعارفه طول ما أنا معاك مش هيصيبني أذى، ومطمنه لأني عارفه إني لو مت أنت مش هتسيبني وهتكون معايا لأن مش هيهون عليك تعيش لوحدك وتسبني وحيدة فى عالم تاني معرفش عنه حاجة.

كل هذا الحوار يحدث فى ظل المطر ونحن لا نبالي بأي شئ ولا أكذب عليكم حين أقول أنني معه لم أشعر ببرد ولا بشئ غير الدفء، هذا الحب يجعلنا فى دنيا غير هذه الدنيا حقيقة.

ثم نظر لي وقال :
- شمس نفسك في إيه دلوقتي؟
رديت عليه وأنا ببتسم بشدة :
- نفسي أشوف الهدايا إللي جبتهالي.
- اه ه ه يا مصلحجية أنتِ، يعني كنتِ هتعرضي نفسك للخطر عشان الهدايا شوية هدايا نسيتك كل حاجة كده.

بحركة لا إرادية لقيت نفسي بضربه بإيدي على صدره وقولتله :

- تصدق أنت غلس وعلى فكرة مش الهدايا إللي نسيتني يا رخم، أنا بنسى كل حاجه أصلا لما بشوف صاحب الهدايا مع إنه عايز الضرب، وعلى فكره مش هقولك إجابة نفسي في إيه الحقيقية عشان متستاهلش .
- طب لو قولتلك عشان خاطري .
- لاء إذا كان كده فأنت خاطرك عندي بالدنيا كلها، بصراحة يا رامز أنا وأنا معاك مبيبقاش نفسي في أي حاجة لإن أنت أصلا وأنت جمبي وقدامي بتكون مالي الدنيا كلها عليا .
- لاء بقى، ده أنا كده أوريكي الهدايا وأنا مطمن .
- تصدق أنت أرخم واحد على الكوكب ده يا غلس .
- وتصدقي إنك أجمل إنسانة في الوجود ده، وأنا أصلًا بحب أشوفك وأنتِ متعصبه.
- غلس.
- بحبك.

وتوالت أجمل أيام حياتي ونحن نعيش بعشق لم يراه أحد ولكن أعين الناس لا تترك أحد بِحاله وظللنا على هذا الحال سنتان حتى وصلنا للفرقة الرابعة بالكلية ولكن بدأ رامز

يظهر عليه علامات الذبول وإذ بِه فجأة قلّ وزنه النصف وكنا عندما نجلس مع بعض كنت أراه مهمومًا حزينًا وكنت عندما أسأله :

- مالك يا رامز فيك إيه؟
- مفيش يا شمس عادي إرهاق شغل وتعب بس عشان بحاول أوفر مصاريف زواجنا.
- مش أنت يا رامز إللي تأثر عليك أي ضغوط من دي أنت دايمًا كنت مليان أمل وعندك إستعداد تتحمل إللي ميطيقهوش بشر، قوللي مالك؟

- مفيش حاجة يا شمس قولتلك مفيش.

قالها وهو يتعصب ولأول مرة أعهده هكذا وكأنه كان يحاول أن يدارى شئ ما ؟!
وبعد فترة رأيته يكثِر الخلافات بيننا حتى أصبحت أنا أيضًا ذابلة وتبدلت أيام السعادة إلى الشقاء دون سبب، ولكن هذا ليس على صعيد علاقتنا فقط بل حتى ببوستاته على الفيس بوك فى الآونة الأخيرة تبدلت من الفرح والمقاومة والحياة إلى الحزن والاستسلام والموت، تعجبت من أموره بشدة وقلبي كان يشعر بشئ مريب بالأمر حتى وجدته يومًا ما يقول لي ونحن نجلس مع بعضنا البعض :

- شمس أنتِ أجمل إنسانة على الكوكب ده كله وبعترف إني كنت سبب سعادتك ودلوقتي بقيت سبب تعاسة ليكِ أكتر، وعارف إني بتخانق معاكِ على أي حاجة وأنتِ متستاهليش كل ده .
نظرت له وأنا أشعر بخفقان بقلبي وأعلم ما سيأتي وقولت:
- اه وبعدين كمل..

ثم رأيته ويكاد يخشى أن تنزل دموعه قائلًا:
- شمس أنتِ تستاهلي إللي أحسن مِني بكتير أنا منفعش ليكِ!
- متنفعش ليا ؟
- ولا لأي حد يا شمس أخرجي من حياتي بإرادتك قبل ما تتفرض عليكي.

نظرت له وأنا أشعر بحزن وخزي وقهر لم أعهده يوما ما وقُلت وأنا أكاد أنهمر بالدموع :
- دي الإسطوانة بتاعت كل شاب لمّا بيحب يخرج من حياة واحدة، أنتِ تستاهلي الأحسن صح وأنتم ليه مبتعرفوش كده من الأول؟ ليه تعذبونا معاكم؟ ليه بتعيشونا أحاسيس حلوة وعارفين إننا مستحيل نحسها تاني مع حد غيركم؟ جاي دلوقتي تقولي أخرجي من حياتي بإرادتك قبل ما تتفرض عليكِ! هو أنت بجد رامز إللي حبيته؟! مستحيل ومش مصدقة ..

- شمس أنا ...
- أسكت ماتتكلمش تاني، أنا مش عايزة أسمع منك كلمة ولا عايزة أي حاجة من الحياة **ملعون الحب إللي يرفعنا سابع سما وينزلنا تحت الأرض** ..

قالتها وهي تبكِ وهو أيضًا لم يشعر بنفسه إلا وهو يبكِ قائلًا :
- بكره تفهمي إني كنت خايف عليكِ أكتر من نفسي وتعرفي إني فعلا حبيتك.
نظرت له بعصبية وهي تمسح دموعها قائلة :
- ماتقولش كلمة حب على لسانك ده تاني أنا حزينة وندمانة على كل وقت قضيته معاك.
ثم قامت وتركته يجلس وحيدًا يشعر بأبشع شعور بهذه الدنيا وأخذ يبكِ مع حاله ويقول:
- كفاية كده يا رب خدني بقى مش عايز أعيش الموت ببطئ ...

وبعد أيام من جلوسها وحيدة وإغلاق كل شئ، وبسبب كلام والدتها كل يوم معها أن تذهب للجامعة إرتدت ملابسها ونزلت فى الصباح وذهبت للجامعة، ورأت صديقاتها البنات وجاءت صديقتها المقربه ريم وقالت لها :
- أنا إتصلت بيكِ كتير وكنتِ قافله تليفونك وقلقانه عليكِ جدًا وعارفه إنك مبتجيش بسبب إللي عرفتيه عن رامز، بصراحه ربنا يصبرك ويعينك ويقويكِ ويقويه..
نظرت لها شمس بدهشه وهي تقول :

- هي الجامعة كلها عرفت إننا سبنا بعض ولا إيه؟ وكمان بتدعيله ربنا يقويه والله أنا شاكلي هخسرك أنتِ كمان بقى بتدعي لواحد زي ده ..
نظرت لها ريم بإستغراب وهي تقول:

- سبتوا بعض ؟ وزعلانه إني بدعي ليه؟ والله أنا ما مصدقة إن شمس تقول كده وتسيب حبيبها وهو في أسوأ ظروف أنتِ قلبك إزاي بقى قاسي بالشكل ده .
- أسوأ ظروف إيه بس ده شخص بيمثل عشان يبرر إللي عمله وأنه يختلق حِجة يهرب بيها مني.

- أنتِ بتقولي إيه يا شمس؟ رامز بيعيش آخر أيام حياته، ده يكون كلامك عنه؟
نظرت لها شمس وهي تبدل ملامحها تسعون درجة وهي تكاد لا تقف على قدميها قائلة بصعوبه:

- أنتِ ..... بتـــ قوولي إيه؟ أنا مش فاهمة حاجة؟
- رامز يا شمس فى آخر أيام حياته وبدل ما أنتي تقوِّيه تكوني أنتِ إللي بتعجلي بموته
- موته.؟؟؟؟؟؟؟

- رامز عنده ورم خبيث يا شمس ...

نزلت الجملة على شمس كالصاعقة ولم تشعر بالدنيا من حولها وكأنها أُعزلت عن هذا العالم، أنحن حقًا بهذه القسوة؟ كيف لنا أن نظن كل هذه الظنون كيف لم نفكر لحظة بالعقل أن بالأمر شئ وكيف لنا ندّعي الحب ونحن شككنا بِمن نحب؟ ونحن لم نفهم ما كان يمر بِه، بالحقيقة نحن ندّعي الحب لأن من يُحب روح تسكن جسد يعلم ما بِها دون حتى لقاء، نحن نحب الإهتمام والشعور بكياننا فقط، بمعنى أصح نحن نحب أنفسنا أكثر عندما نظن الظنون السيئة بمن نحب، مهما فعل فالذي يحب حقًا مهما بدت له من أفعال سيئة يلتمس له العذر حتى ولو إختلق مبررات لنفسه حتى لا يسئ لصورته بعقله، عادت شمس من عالمها وهي تقول وكـأنها فقدت عقلها :

- رامز أنت فين؟ مستحيل تسيبني قبل ما تعرف إن أنا إللي فعلا مستحقش يا رامز أنا مكنتش عارفه ليه حبيتك أو يمكن حبيتك علشان أنت خليت الحياة في عيوني جميلة أو خلتني أحس بنفسي بس دلوقتي أنا بعترف إني دي اللحظة إللي أقدر أقول فيها أنا بحبك بجد، أنا مش هسيبك..

ثم التفتت لتنظر على بوابة الجامعة ونظرت لها صديقتها بإستغراب ثم وجدتها تهرول إلى الخارج، وخرجت هي أيضًا مسرعة خلفها وهي تقول لها بصوت عالٍ :
- رايحة على فين يا شمس؟

نظرت لها شمس مُلفته رأسها وهي تركض وتبكي وبصوت متحشرج وتقول:
- رايحة لرامز...!!
ثم التفتت إلى الأمام وأكملت الركض حتى وصلت إلى البناية الذي يسكن بِها ثم طرقت الباب وما أن طرقت وفُتِح الباب ووجدت أم رامز تستقبلها وهي ترتدي اللون الأسود بحزن وصوت القرآن يعلو على آية
(كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ)

لم تشعر بنفسِها إلا وهي تهوى على الأرض فاقدة للوعي، وبهلع قالت والدة رامز
- شمس، شمش.

وبعد لحظات من الإفاقة، فتحت شمس عينيها لتجد شخص أصلع الرأس ينظر لها بخوف قائلًا:

- خضتيني عليكِ، وكنت هموت لو حصلك حاجة يا شمس.

نظرت له غير مصدقة نفسها أنه أمامها ، وتعجبت ونظرت حولها وعلى وجهها علامات إستفهام ، ثم تكلم بتأثُّر شديد شارحًا لها:

- والدي مات يا شمس تصدقي دي؟ أكون أنا إللي منتظر الموت وهو إللي يروح قبلي!. نظرت لعينيه اللتان تملؤهما الدموع قائلة:
- بعد الشر عليك يا رامز ، والبقاء لله ربنا يرحمه يا رب، ولكن ليه يا رامز عملت كده ومقولتليش إنك بتواجه مرض لعين؟
- علشان ماتشوفيش شكلي إللي بقيت فيه ده يا شمس، عشان أنا عارف إن إللي بيجيله المرض ده خلاص بيكون مجرد أيام وبيعيشها وبعديها هيموت، فكنت عايزك تكرهيني عشان خايف عليكِ من حتى بعد لما أموت، فكنت عايزك تعيشي حياتك وتنسيني .
- إنت بتقول إيه يا رامز ؟!، إحنا وعدنا بعض على الحياة وعلى الموت جاي دلوقتي تخلف الوعد؟
- أنا ما خلفتش وعد .. أنا بحبك ، وده قمة الوفاء إني أطمن عليكِ بعد ما أموت، مش عايز أمشي يا شمس وأنا قلقان عليكِ .
- مش هتمشي يا رامز إلا وإحنا مع بعض، ومين قالك إنك هتموت ؟ هو أنت خلاص بتستسلم علطول كده ؟! ، المرض ده ما بياخدش غير الضعفاء إللي بيستسلموا .. أمّا إللي بيعاندوا بينتصروا عليه، وأنا معاك ومش هسيبك لحظة،

إللي بتحب بجد يا رامز مابتسيبش حبيبها مهما كانت ظروفه .

- خليكي جمبي يا شمس، أنا بجد محتاجلك أوي .

وأنا جمبك يا رامز في كل الأحوال أنا جمبك، ويا ريت تسامحني على أي كلام قولته في حقك .

وبعد اليوم ده أنا ورامز ما بقيناش نفارق بعض لحظة .. كنت ببقى معاه في كل ثانية في حياته، ووقت ما كان بيروح ياخد الجلسة بالمستشفى مكنتش بسيبه لحد ما جه اليوم وإحنا عند الدكتور وهو بيشوف الأشعة ونتيجة التحاليل بإستغراب وبعديها قال :

- مستحيل، دي معجزة، أنت يا رامز خلاص مبقتش مريض .. أنت اتكتبلك عمر جديد .

نظر رامز للدكتور وهو غير مُصدقًا، وتكلم والدموع تسبقه قائلًا :

- ده بجد يا دكتور ولا بتقولي كده ؟
- والله بجد يا رامز.

نظرت له شمس وهي بقمة سعادتها ، بعد أن رُدت الروح لها قائلة :

مش قولتلك المرض ده ما بيهزمش إلا الضعفاء، وأنت قوي يا رامز ... ألف حمدلله على سلامتك، فضلت بس تقلقني عليك وتعملي جو دراما يا أخي .

- أنا قويت بيكِ يا شمس، ولو مرضي خف بسبب، ف أنتِ السبب ده بعد ربنا.

خرجنا أنا ورامز وقتها من عند الدكتور واحنا بقمة السعادة وكأن الحياة أعطت لنا عُمر جديد، ووقتها افتكرت الجملة إللي كانت على المنتدى بتقول :

عندما تعشق حقًا وقتها سَيُصبِح حبيبك هو وطنك .. ستكتفي بِه عن العالم أجمع، فالحب يغير مصائر ويُحيي الأموات ويجعلك في سكرةٍ عن متاعب هذه الحياة، وهو أيضًا الذي من المُمكِن أن يَجعَلَكَ تمُوت قبل أوانك ؟

ولكن الحقيقة هو خلانا نعيش كل اللحظات قبل أوانها خلانا نموت وخلانا نفرح، الحقيقة الحب خلانا نعيش الحياة بجد بكل أحاسيسها، وإحنا مدينين ليه بكل نفس بنتنفسه، وبالنهاية أقول لكم إن الحب حياة بجد .. وإللي ماحبش يوم يبقى ما عاشّ الحياة لسه..

نظر لها رامز وهو يجلس بجانبها على الكوشة قائلًا:

- مبروووووك يا أجمل عروسة في الدنيا.

****

الوجهة الأخيرة

رأيتها دومًا كحلقة مفرغة ليس لها آخر، ما هي إلا متاهات تجعلنا في صراع دائم على أن نحياها، وبين هذا وذاك تتيه ذواتنا بين الشيء واللاشيء، فـ يا ترى إلى أين ستسحقنا مرة ثانية؟! فهل في العمر متسع لأن نغامر ونعيد ما كان أم أنها ستغلق علينا أجدالها لتخنقنا رويدا رويدا دون صرير ولا ضوء يبعث لنا روح من جديد.....

كانت وظيفتي دائمًا أن أحمل أناس من مكان لمكان، حتى يحصلوا على وجهتهم ولكن كنت دائمًا اتسائل أين وجهتي؟ وأين أحصل عليها؟ ظللت عمرًا بأكمله أبحث داخل من يركبون معي على سر شغفهم بالحياة وما الذي يجعلهم كل يوم يرتادون نفس الأماكن ونفس الوظيفة ونفس كل شيء لا تغيير فأنا كنت أمقت دومًا عدم التغيير والوقوف على خط واحد وما جعلني أستمر في مثل هذه الوظيفة أنني كنت دائمًا أُشاهد أماكن مختلفة وبشر غير البشر مع أنني لست راضٍ عنها ولكنني راضي عن نفسي التي فعلت ما تحب دون إجبار، كنت دومًا أتمنى الموت ولكنني أخشاه والأن جاء ليقول لي معلنًا عن نفسه في مظهر مهيب يملئ الأفق وكأنه إله يحجب كل شيء عني لأراه هو فقط وهو يقول:

- ما تمنيته ستحصل عليه أيها العجوز الأبله.

- نعم أنا عجوز ولكني لست أبله، فأنا سعيت من أجل نفسي وكشف الحقيقة التي كانت تشغل جُلّ تفكيري.

نظر إليّ وكأنه مشفقًا عليّ قائلا:

- أضعت عُمرك في سراب وتناسيت هذا اللقاء مع إنك كنت دومًا تريده ولكن مثلك مثل غيرك جميعكم تريدوني ولكن عند المجئ تنصدمون لأنكم تروا الغمامة التي كانت على أعينكم طوال حياتكم، فأضعتم عمركم في شعارات ونسيتم أن الحياة الحقيقية السعيدة كانت تنتظركم ولكنها ضاعت لأنكم لم تعملوا لها .

- رفقًا بي فأنا شيخ مُسن أبله اعطني دقيقة أحياها وأختمها بصالح ينفعني.

- ما عشت عليه طوال حياتك سيكون هو خاتمتك، فكم من أوقات أضعتها بلا نفعٍ وكم من صلاة تركتها من أجل عملٍ وكم فساد وأثام وقعت بها وجائك من يذكرك فكنت كالأصم وظللت تؤجل فالأن لا لحظة أخرى لك انقطع كل شيء عنك.

أخذ يحشرج الصوت ونظر نظرة خوف شديدة جعلته يفزع وتجمدت أوصاله وضيقت عليه الأرض والسماء ومن شدة ما رآه تمنى أن يكون ترابًا فكانت الحقيقة قاسية عليه جعلته يهدأ رويدا رويدا إلى أن سلم كل شيء على مضض

وآخر ما كان قد كتبه موسى عبد السلام في مذكرته

كانت الحياة بالنسبة لي كدُخان يُحلق في السماء من فمِ مُدخن غير عابئ بما سوف تفعله هذه السحابة السوداء به، فلم يكن يعلم أنها من ستحدد مصيرهٌ الآبدي.

*** * * ***

الــزُقــاق الــضــيــق

بداخل حارة بها زُقاق ضيق حيث البيوت تحتضن بعضها، والأرض تمتلئ بالطين الذي أتى منهُ هؤلاء البني آدمين، ومياه الصرف تنتشر في جميع الأرجاء لتُعلن عن أنه لا يوجد هنا سر ولا خفاء، فالناس هُنا يعيشون في العراء، الجميع يرى عورات غيرِه، ويُشَم نفايات الإنسان، ويُسمَع آهات النسوة من الوجدان، هنا لا أحد عاقل ولا أحد يعيش حالة جنان، هُنا حيث الفقر المُدقع، لا يوجد سوى أُناسٍ تُريد قطعة من الخُبز حتى يحيون بسلام ولا يسمعون آلاام طفل جوعان، هنا لا يعرفون شيئًا عن الأحلام سوى أنهم جاءوا على هيئة بني الإنسان، هنا بالدور الأرضي بداخل حجرة صغيرة ضُيّقت عليه وأُخِذ نصفها من أجل إخوتِه الصغار، كان يجلس كرم الطيب كما يلقبونه لأنَّه كان أطيب مَن بِحارتهم وهو الوحيد دونًا عن الباقين الذي سلك طريق العلم، فالجميع كان يمتهن مهنة تجعلَه في رغد مِن العيش يقوى على إعالة نفسه ومَن معه، ولكن بعكس كرم الذي كان يجلس خاويًا، فخرِّيج كَليات الآداب في هذا الزمن ليس له مكان، ولا وظيفة تسنده ليحيا في سلام، مع أن كرم كان من المتميزين والأول على دُفعته وكان حلمه أن يكون مُعيد ويحضّر رسالة الدكتوراة ولكن اصطدم بالوساطة وعُيِّن مَن له أب دكتور في الجامعة، فكيف لهم أن يجعلوا شاب يعيش في زقاق، ويُعاني من فقر مدقع ليس له أحد سوى الله أن يُقدموه على مَن له حسب ونسب، كنت مثلك مخدوع أن الحياة تفسح طريقها للمتميزين ولكن نحن في عصر المتفوقين وأصحاب العلم في الميادين يطلبون يد العون وأصحاب اللهو والخلاعة مُرفَّعُون ومُنعَّمين...

جلس كرم الطيب في صراع قوي مع نفسه بعد أن عَرض عليه (صلاح النِّن) كما يُطلقون عليه -وهو أحد الشباب في حارتهم- أن يترك الفلسفة التي يحيا بها ويترك أمله في أن يُصبح دكتور في الجامعة وينزل معه في الورشة وسوف يعطيه يوميّة كبيرة تجعله يقدر على إعالة نفسه وإخوته وأُمه المريضة..

أخذ كرم يُفكر وينظر لإخوته الذين يجلسون حوله في ملابس رَثَّة بالية لا يوجد لهم غيرها، ثم نظر لأمه التي غطَّت في نومٍ عميقٍ بعد أن أنهكها الألم ولم تأخذ علاجها، صراعٍ دامٍ في عقله بين العلم والجهل، بين الحياة واللا حياة، أخذ ينظر لصورة والده الذي فارقه منذ وقت قريب وتركه في أهم وقت كان في إحتياج له وكانت آخر كلمات له قبل أن تفارق روحه جسده أن قال:

- أُريدك يا كرم أن تتعلَّم، أُريدك أن تحيا حياة أفضل منّي.. لا تفعل مثلي وتنظر أسفل قدميك، العلم يا بُني هو سلاح الرفعة، إياك أن تتخلّى عنه.

رد كرم قائلًا وكأنه يرد على أباه في الحال:

- أيّ رفعة يا والدي في بيئة تقتلنا! أيّ رفعة يا والدي مع أُناس يُمجِّدون أهل المجون ويدهسون أهل العلم، كيف لي ألا أتخلّى وكل الأشياء تخلَّت عنّي، كيف لي ألا أتخلّى ونحن نتضور جوعًا وألمًا.. قل لي بالله عليك ماذا أفعل؟ يا ليتك تعود لي من تُربتك لترشدني وترحل، فأني والله أشعُر بالعجز وأنني ليس لي حيلة إلا أن أرضخ، وكيف لمثلي أن يقاوم وهو لا يملك يدين ولا قدمين تُعينه على المُضيّ قُدُمًا، فزمن الحلم والعلم ولّى يا والدي، والآن عليّ أن أعيش عيشتك، وهم قالوها بأنفسهم؛ (ابن الوزير سيظل وزير وابن الغفير سيظل غفير) وأنا ابنك.. ليس لي سوى ورشة النجارة، وسلامًا على هذه الدنيا الجبارة،

فليحيا أهل المجون والمجد والشهرة المُزيفة وليمُت أهل العلم في حياتهم الضيقة، ولكن من المؤكد أنني سأعود يومًا لأكمل حلمك يا أبي ولكن بعد أن يُزال الحمل من على كاهلي.. وقتها لن أعبأ أن أموت جوعًا.. لن أعبأ ببرد الشتاء القارص.. لن أعبأ بأيّ شيء سوى أن أُعيد العِلم وأرفعه عاليًا ليُرفرف في سماء الوطن وليُعلن أن العِلم شرف ليس بعدهُ شرف آخر.

نظر الطيب نظرة أخيرة على كتابه الذي كان يقرأه والذي كان بعنوان (أهل العلم) لراغب السرجاني وتركه جانبًا وقام من كُرسيه وربَّت على أُخته الصغيرة التي كانت تُمسك بتلابيب بنطاله وقال:

- سوف أأتي لكِ بعشاء فاخر اليوم حبيبتي.. اطمئني اليوم فقط سوف تمتلئ بطنك.

ونظر إلى إخوته الثلاثة الآخرين النائمين من عناء الحياة وقال: من الغد ستصحون وتجدون أمل لحياتكم.

ثم نظر إلى أمه وقال:

- إطمئني يا أُماه ستستيقظين على دواءك وهو بجانبك وليذهب كل ألم عنكِ.

خطا كرم خطوات حتى وصل للخلاء ليدخل ويُغلق عليه الستار، ليخلع ثوبه ويُبدّله بثوبٍ آخر يتلائم مع حياته الجديدة.

وبعد سنوات عديدة مرت وبلغ بها المشيب، جلس على مكتبه الفاخر بداخل الجامعة التي أصبح دكتورًا بِها وكتب آخر صفحة في كتابه (العلم أسرار) قائلاً:

ليس عيبًا أن تتنحى مُتخليًا فترة من الزمن عن حلمك حتى لا تفقد قيمك، وليس عيبًا أن تمتهن مهنة شريفة أقل من قدراتك لتعيش وتُساير الحياة، ولكن العيب ألا تعود لحلمك مرة أُخرى..

العيب أن تفقد هويتك، العيب أن تتجه لسُبل أخرى مخزية وتُبدِّل علمك بتفاهات، العيب أن تمد يدك وتطلب شيئًا لله، العيب ألا تشعر بمسؤولية مَن في رقبتك وتُفضِّل نفسك، ولتحيا أنت ويموت غيرك، العيب ألا يكون لضميرك صوت حق يوقظه من الغفلات، والعلم أسرار لن تؤتى ثماره إلا بعد أن تُغربلك الحياة.

ثم نظر إلى صورة والده قائلاً:

لم ولن أكُن لأتخلّى عن حلمي يومًا، فأنا على عهدي معك باقي.. ولكن كان لا بُد لي أن أمتلك القوة التي ستُغيِّر مفهومهم، فأصحاب المال لا إقناع لهم إلا بما يصاحبون، وأصحاب السلطة لا رضوخ لهم إلا بسلطه أعلى منهم، أمّا أصحاب العلم فهم في فلك يسبحون يا أبي ولا سلطة ولا قوة عليهم إلا حُجَّة العلم، رحمك الله يا مَن علمتني أن أحيا حياة الرجال، فلترتاح روحك الآن.

* * * *

واجـــهـــة مُـــزيـــفـــة

جلس الأب شاردًا بعد ما بلغ من العجز مبلغه، وهو ينظر إلى ابنه الذي لا يرضى عن حاله وعيشته البسيطة، بعدما ماتت والدته وساءت أحوال الأب من تدهور صحي وقلّ عمله الحر الذي يقتات مِنه، وقال الأب في نفسه:

- يا رب هل كان خطأي أني جعلت ابني يدخل أفضل جامعه ويتعلم أفضل تعليم! حتى ينظر لأصدقاءه الميسورين الحال وذوي العلاقات والنفوذ والجاه والأموال وأن يقع بحب فتاة من الأثرياء حتى يتضجر من عيشته ويعمل فوق طاقته ليحاول الوصول لدرجة معيشية بنفس درجه من يحبها؟

أخذ الأب ينظر لابنه الذي اشترى ثيابا باهظة الثمن ليرتديها وهو يُحدّث نفسه قائلًا: - للأسف منظر من الخارج وأنت من الداخل هش، ليس العيب أن ترتدي أفضل شئ ولكن من العيب أن لا تحسب حساب للطوارئ وأن تنفق كل ما لديك من أجل مظاهر خداعة، لأن الذين ارتديت من أجلهم من أجل الظهور بوضع خاص لامع أمامهم؛ عندما تجوع لن يعطوك خبزًا لتأكله بل سيبتعدون عنك ويبرأون مِنك ووقتها لن ينفعك أحد لأنك فعلت كل هذا من أجل عيون الناس ونسيت أن أي شئ تفعله من أجل الناس مردود عليك بل سيصبح وبال خطرعليك.

عاد الأب من شروده بعدما أُنهك من حديثه الداخلي ثم نظر لابنه قائلًا:

- يابني أنا شايفك عايش عيشه مش عشتك وخايف عليك من الدنيا وأقدارها.

نظر فهد لآباه بتعالي وغرور قائلًا:

- متخافش عليا يا بابا أنا عارف إزاي هعيش في الدنيا دي، وعشان كده لازم أعيش عيشتهم علشان أكون زيهم أنا مش هفضل زي ما أنا، أنا لازم أكبر وأكون قوي بالفلوس لأن الزمن ده مش عايز إلا كده فلوس ومظاهر وساعات حتى بالمظاهر تقدر تخدعهم حتى لو معكش فلوس.

نظر الأب لإبنه متعجبًا من تفكيره الذي تبدل حاله ثم قال بحسرة وألم خوفًا على إبنه:

- فوق يابني إحنا ناس على قد حالنا، ومهما حاولت تكون زيهم مش هتعرف لأن احنا لا معانا سلطة ولا فلوس ولا حيطه حتى نتسنّد عليها ولا أنا ربيتك تربية

حرام علشان تكون زيهم فوق بقى بلدنا كتبت علينا كده ابن الوزير بيطلع ابن وزير، وابن الغفير بيطلع ابن غفير، وده يابني كلامهم بلسانهم عايز إيه تاني.

نظر فهد بإشمئزاز قائلا في هياج:

- يعني إيه إللي أنت بتقوله ده يا بابا؟ مستحيل البلد اتغيرت وبقى في ديمقراطية وإن إللي عايز يكون حاجة بيكونها .
- يابني دي كلها مصطلحات وواجهات مزيفة لكن الحقيقة غير كده، بص في كل مكان وشارع وحارة اسأل الناس وهما يقولولك الحقيقة، ماحدّش فى البلد دي بيطلع على وشها إلا يا مسنود ومعاه إللي يطلعه، يا بسكك ماترضيش ربنا يابني مالهاش تاني .

خرج فهد من منزله وركب سيارة الغلابة الشهيرة ماركة الفيات وقاد مسرعًا حتى توقف أمام إشارة مرور وفجأة شعر بصدام قوي بسيارته بالخلف، ثم خرج من سيارته لينظر ماذا حدث ليجد سيارة زجاجها أسود اللون هي التي اصطدمت بِه ثم خرج منها شاب بعصبية قائلا:

- أنت متخلف فى حد يقف كده فجأه!

نظر إليه فهد وهو يستشيط غضبًا قائلًا:

- كمان أنت إللي خابط من ورا وليك عين تتكلم وتغلط.

ثم عبر عمّا يشعر بداخله بلفظ إعتراضي

- أنت كمان بترد عليا وبتعترض ده أنت هيطلع سلسفين أهلك إنهارده.
- تصدق أنك إنسان مش محترم وعايز تتربى.

ثم أمسك به وهمّا أن يتعاركا حتى جاء ضابط شرطة من الخلف موقفًا هذه المشادة وناظرًا مستكشف الحاصل بينهم ثم نظر للشاب قائلًا :

- يعني خابطه من ورا وكمان بتتكلم ومفيّم العربية كلها وريني رخصك بقى كده.

أخرج الشاب كارت ذا لون أسود وأعطاه للضابط ثم نظر الضابط للكارت ثم اعتدل بوقفته قائلا:

- أهلا بيك يابن معالي الباشا الكبير، إللي ما يعرفك يجهلك، دلوقتي نعملك محضر حالا ونشوف إزاي ابن الكلب ده اتسبب في تعطيلك وكمان خبط عربيتك دلوقتي هناخد كل الإجراءات القانونية .

نظر فهد للضابط وهو مندهش وقال للضابط :

- فجأه الموازين إختلت والقانون اتبدل واتشقلب عشان كارت وفجأه بقيت ابن كلب وقال إيه أنا قولت إنكم هتنصفوني والدنيا اتغيرت .

نظر الضابط قائلًا:

وليك عين تتكلم يا حثالة المجتمع، ده أنت مش هيطلع عليك نهار عشان تعرف ترد على أسيادك وواضح كمان إنك شارب حاجة .

ثم بصوت عالٍ قال :

- خدوه على البوكس.

صعد فهد على بوكس الشرطة ووقف داخلها ناظرًا من النافذة ذات الأسلاك الحديدية قائلًا:

- كان عندك حق يابا إن كلها مصطلحات مزيفة والحقيقة غير كده وإذ به على سهوة لم يرى إلا الظلام.

*** * * ***

مـــــن أكـــــــون

نظر حسن الضوي للدكتور الواقف أمامه في المشفى التي تحاوطها الأسوار من كل حدب ومكان ونظر لمعاونيه الذين قاموا بتقيد كل أجزاء جسمه وأُغرقت عينيه بالدموع على ما آلت به الأمور ثم نظر إلى الأرض مستجديها قائلًا في آسى :

أنا هقولك سر حقيقي؛ وهو إني ماكنتش أتخيل يوم إني أوصل للشخص إللي قدامكم ده! شخص مش عارف هو مين؟ هو الخير ولا الشر؟ هو ليه أصلًا اتولد في دنيا مليانه شر؟ هو ماكانش كدا والله، ده كان بيحب الخير، كان مخلص جدا، كان طيب وفجأة اتحول للشر بعينه، اتحول إنه بقى خاين، ماعندوش مبادئ، شخص كفر بكل حاجة لأن وقت ما كان قريب أوي من ربنا وبيراعيه لقى خنجر مسموم، سم مالوش دوا اتغرز في ظهره وقلبه وكل مكان فيه، صرخ بعلو الصوت ليه؟

ليه وأنا كنت مآمن للناس إللي قدامي يحصل فيا كدا؟

ليه يكون جزاء الإخلاص غدر؟

ليه يكون جزاء الطيبة شر وجزاء الحنية قسوة؟

ليه الناس إللي مانتخيلش منهم الضربة بتكون هي أول حاجة تيجي منهم هما،

أنا تعبت عايز أنسف حياتي كلها ومش باقي على حاجة، أنا مش باقي على حاجة أموت! عادي أموت ما أنا ميت أصلًا، نار هدخلها ما أنا عايش فيها، على الأقل هرتاح وأعرف مصيري إيه؟ بدل ما أنا متعلق بين جنة ونار، جنة في قربي من ناس نفسي يكونوا معايا بس القدر مانع يجمعنا، وبين نار أنا معاهم والقدر مانع علينا الفراق؛ كأني مش مكتوب عليا أرتاح!.

أنا مين رد عليا يا دكتور؟

وإذ فجأة ركض نحو طبق فاكهة موضوع به سكينة للتقطيع، وعلى حين غرة من أمره أخذ السكينة ونظر للدكتور قائلا:

- أنا مين يا دكتور؟ رد عليا؟ لأنك لو مجاوبتنيش أنا هتخلص من نفسي، أنا جيتلك وأنت آخر أمل ليا في الحياة السودا الباهتة دي، مش أنت برضو دكتور نفسي؟ رد عليا مش أنت إللي بتصلّح النفسيات؟ أنا دلوقتي عايز نفسي ترجعلي، نفسي إللي راحت منّي

.

وفجأة بإشارة من الدكتور اِلتف حول الشاب ٣ من التمرجية وهم يسيطرون عليه بكامل عزمهم ليحقنوه بحقنه مهدئه في شريان يده.

استسلم لهم وهو مجبر وبعد أن أخذ الحقنه المهدئة تراخت جميع أعضاء جسده ووجد نفسه يهوى على الأرض قائلا:

- أنا مين؟ أنا مين؟ وليه هما وصلوني لكدا؟ ليه؟ ليه؟ ليه؟

وإذ به فجأة يذهب لعالم آخر مستسلما للأقدار

نظر التمرجية للدكتور قائلين:

- هو إيه إللي يوصل إنسان للجنان ده يا دكتور وإنه يكون بالحالة دي؟

نظر الدكتور بشذر وحسرة قائلًا:

- ده مش مجنون، ده أعقل واحد، كل الحكاية إنه مستحملش ألاعيب البشر الشيطانية، كل مشكلته إنه عايز إجابة تريحهُ، عايز يعرف ليه البشر بيقابلوا الخير بالشر ولمّا ملقاش إجابة حصله كل ده.

*** * * ***

لـــعـــنـــة الـــذكـــريـــات

- ملعونة الذكريات، ملعونة الذكريات، ملعون كل من أذاقنا من كأس الفراق.

تذكرت أن اليوم هو ذكرى أول لقاء لهم، فعلى عجلٍ قامت لتفتح خزانتُها ورأت فستانها الذي يشهد ذِكراهم مُعلَّقا كما هو حيث ما زال عليه رائحتُه المميزة، أخذتُه وهي تستنشق عبيرُه بِه، ثم في دقائق كانت على أتم الاستعداد للذهاب حيث نسيم الحنين والإشتياق وعند الخروج من منزلها تذكرت شيء في غاية الأهمية؛ أنه لا بُد أن يكون معها حتى لا تُباغتها الذكريات مرة أخرى لتقتل آخر رمق بِها...

عادت إلى غرفتها وأمسكت صندوقها الخشبي الذي يحتوي على رُفاتها وأخرجت ما بِه لتحملها وكأنها تحمل طفل رضيع لم يُكتَب له الحياة أن يُشاركها أنفاسها، ثم اتجهت لحديقتهم المعهودة، ووقفت حيث نسيم الذكريات يلفح وجهها الباسم البريئ، حيث كانت تسمع همهماتهم العصافير وهي تزقزق لتعلن غدٍ مُشرق جميل، وتُفتّح الأزهار أوراقها لكل طيب أصيل..

وقفت وهي مُمسكة بآخر ما تبقى مِنه، لتنظُر إليها مُندهشة كيف تحوَّلت إلى الذبول؟ كيف غيَّرت الوردة ألوانها وأصبحت باهته؟ كيف ضاع عبيرها وجمالها وصفاءها؟

أين ذهب الكلام المعسول؟!

أين ذهب الضياء الذي رأتُه في عينيه؟

أين الوعود التي خرجت من بين شفتيه؟

أين الضحكات وحواديت الليل ولوعة الأحِباء؟ أيُعقل أن كل ما عشناه سويًّا كان هباء؟

نظرت إلى السماء وهي تتنفس الصعداء، وعادت ببصرها إلى وردتها البريئة التي ذَبُلت من أحاديث البشر التي يملؤها الكذب والنفاق، وتذكرت كل ما ألمَّ بِها وتعالت لديها النبضات في سرعة شديدة وكأنها تُصارع وحدها ظلم مُفجع أدَّى للإختناق، وعلى غرة نزلت دموعها دون إرادة وكأنها لها في اشتياق، وبقوة أُم مكلومة من ظفرات الأعداء، دفعت وردتها بقوة لتهوي أسفل قدميها ونظرت لها بكل حسرة وقالت:

- لعنة الله عليكِ.. تبًا للذكريات!

ووطئت عليها بقدميها لتُشفي غليلُها وهي تقول بهستيرية شديدة:

- ملعونة الذكريات، ملعونة الذكريات، ملعون كل من أذاقنا من كأس الفراق.

* * * *

البـــاب المـــوارب

طول ما الباب موارب؛ هنفضل نتخيلهم في كل مكان، هنفضل نحن ليهم، وهنفضل عايشين على أمل إن نلاقيهم يوم فاتحين الباب...

وما أقسى أن تعيش على ضلالات الحب وهذيانه....

أنا مروان رشدي، شاب في العشرينات، خريج تجارة، احببت فتاة معي بالجامعة، جامعة طنطا، قضينا أجمل أربعة سنوات ولكن كانت النهاية مؤلمة، حيث خسرتها بسبب غبائي وتحكماتي المفرطة وبسبب أن الحياة وضغوطاتها لم ترحمنا، فقررت أن أنهي هذه المهزلة وقلت لنفسي ننهي الحكاية قبل ان نصل لحد الكره بيننا، ولكن نهايتنا لم تكن مغلقة بالكامل، تفرقنا ولكن قلوبنا ملتصقة ببعض، وكان الوعد بيننا أن نأتي كل شهر في نفس الموعد حتى وإن تفرق كل منا بطريق يوما ما.

وبالفعل رغم مرور أربعة سنوات على الفراق مازلت آتي للمكان ولكنها خالفت هذا الوعد وكأننا لم نلتقي يومًا ما.....

الغريب أنني وأنا جالس في مكاننا المعتاد نظرت أمامي من الواجهة الزجاجية، ورأيت فتاة تسير وبجانبها صديقتها، تنظر لي لترى من بالداخل! ونظرت لأتفحص بشدة وأتبين من تكون والحقيقة أنها كانت تخبئ وجهها...

ثم قلت لنفسي:

- معقول تكون هي؟ ومخلّيه صاحبتها تتأكد إني محافظ على الوعد؟

ركزت وقلبي زادت نبضاته بشدة، وقلت:

- أيوة هي، هي نفس الطرحة الزيتي، ونفس الفستان المشجر، هي، مستحيل أكذب عنيا واحساسي...

تركت كل شيء وخرجت من المكان مثل المجنون أركض إليها، ما هو من المستحيل أترك هذه الفرصة تضيع، حتى أنني منذ شهور أبحث عنها بكل مكان، في الجامعة وبالشوارع وبكل ركن جلسنا وحكينا به حكايات، لدرجة أنني أصبحت معروف بالمكان أنني العاشق الولهان الذي يبحث عن حبيبته المفقودة، واتعرفت بهذا الكافية أن المنضدة رقم ٣ هذه خاصة بي أنا...كل شهر بنفس الميعاد، هذه المنضدة التي شهدت على لحظات ميلاد حبنا وأيضًا وجع قلبنا.

ركضت وقلبي زادت نبضاته بشدة، وجسمي بدأ يرتعش عندما يقترب منها، نعم هي مشيتها وحقيبتها وكل شيء، حتى أصبح بيني وبينها خطوة واحدة، نعم خطوة واحدة،

هذا هو الأمل المتبقي لي، لا يهم سوى أن تلتقي عيني بعينيها وقلبى يشعر بالاطمئنان بجانبها وروحي تهدئ وترتاح ولو لسويعات من تعب سنين في بعدها، وفوجئت بأن قدمي لست قادرة على حملي من الأرض،

عجيب أمر هذا الحب؛ لا يُفهم ولا يُعقل! بالفعل هو شعور ليس له وصف، وعلى حين غرة حدثتني نفسي وهي تقول:

- لاااااا، فوق مش هتضيع من إيديك المرة دي.

وتشجعت وأخذت نفس قوي، وذهبت إليها وتخطتها بخطوات ودورت جسدي لاتجاهها حتى أصبح وجهي بوجهها وكانت المفاجأة الصادمة، التي جعلتني أقف مذهول!

رأيت فتاة غيرها على الإطلاق، لقد خانني الحب وجعلني أسبح في ضلالاته، فتحت الفتاة فمها بعصبية وصوت عالٍ قائلة:

- عيب كدا، ما يصحش إللي بتعمله ده، مراقبنا وبتجري وفجأة تقف في وشنا خير يعني؟!

لم أعرف ماذا أفعل في هذا الموقف، وقفت مضطربًا مسهمًّا، وقد كُسرت من الداخل، نظرت بالأرض متواريًا منها وقلت:

- أسف، أسف جدا، أنا كنت بدور على حبيبتي بقالي سنين وعقلي خدعني وكنت فاكرك هي.

لم أنتظر ردها عليّ، أخذت نفسي ومشيت خطوات بعيدة عنهم، وأنا أشعر بالضياع على كل شيء وقلت لنفسي:

- معقول؟ معقول يكون عقلي اتوهم كل ده! إزاي؟

طيب معقول تكون مخلّيه واحدة تلبس لبسها وتعمل كدا عشان تجنني؟

لاء في حاجة غلط، يا رب... أنا تعبت بجد.

أكثر ما يؤلم الإنسان أن يعيش على وهم الرجوع، وإن الطرف الآخر لم يغلق أمامه كل الأبواب، بل قبل ما يتركه، يجعل الباب موارب، هذا الباب هو الذي يدمرنا ويجعلنا مُعلقين بين السماء والأرض.

عدت لمكاننا وكلِ كسرة وألم وفتحت باب الكافية وأنا أتنهد، وأنا بتقدم خطوات للمنضدة، ورفعت عيني ونظرت على مكاني وكانت المفاجأة الكبيرة التي لم أتخيلها...

نظرت ورأيت فتاة جالسة بظهرها! نعم نفس الطرحة البينك والفستان الأسود التي تعلم بعشقي لهم وكنت أقول لها عند ارتدائهم أنها ملكة جمال الكون ثم قلت:

- معقول هي؟ هي؟ لا أنا كدا هتجنن!

وبدأ قلبي يعلّى نبضاته مرة أخرى ويضرب بشده لدرجة أنني قُلت لقلبي:

- اِهدى هتقف ومش هنلحق حتى نتملّى بنظرة عنيها...

خطيت خطوة والثانية ثم وقفت خلفها بالضبط وقُلت:

- معقول أنتِ هنا! ده حقيقة؟

نظرت خلفها وأول ما نظرت إليّ صدمت مرة أخرى! وكأنه يوم الصدمات المتتالية...

ثم رأيت الفتاة تقول باضطراب وربكة:

- أسفه إني قعدت مكانك بس أناا.... افتكرت إن الترابيزة فاضية وحد ناسي حاجته عليها.

تحدثت داخل نفسي قائلًا:

هو إيه إللي بيحصل، ما هو يا اتجننت وبقيت بشوفها في كل الناس، يا اِمّا هي عايزه تجنني ؟

معقول أنا مش فاهم حاجة؟! إيه بيحصل؟

- يا أستاذ حضرتك سامعني ؟ أنت معايا؟

أغمضت عيني لأستوعب ثم هززت رأسي وقلت:

- أسف، بعتذر جدًا إني سرحت، وهو أنا فعلا دي ترابيزتي ، أنا قومت بس أشوف حاجة بس للأسف مالقتهاش.

- طيب أنا هقوم وأسيبلك ترابيزتك.

أخذت ألملم أشيائي ثم ظللت أخطو خطوات مبتعدة وأنا أقول:

- لا، لا، ولا يهمك خليكِ قاعدة أنا إللي ماشي.... أنا إللي ماشي لأن خلاص القعدة مابقتش تفيد، وواضح إن الباب هيفضل موارب .....وطول ما الباب موارب هنفضل نتخيلهم في كل مكان، هنفضل نحن ليهم، وهنفضل عايشين على أمل إن نلاقيهم يوم فاتحين الباب ومن هنا لحد ما ده يحصل خليكِ قاعدة مكانك، جايز الباب رافضنا بس ممكن يتفتح لغيرنا، وأنا خلاص ماشي، ماشي لأني بالفعل أنا شايفها دلوقتي قدامي بتنده عليا، بتشاور ليا من بعيد وبتبتسم وبتقولي سبتلك الباب موارب عشان تيجي ف عن اذنك وعن اذنكم جميعًا.. أيوة أنا جايلك يا ياسمين...!؟

*** * * ***

اللعبة الأخيرة

اللعنة على الأمل الذي يجعلنا نلهث من خسارة لخسارة وعلى من يتشدقون بكلام عن النجاح وكأنهم مالكون لأقدارهم.....

الحقيقة التي اِكتشفتها أن الأمل أحيانًا يكون أكثر مدمر للإنسان!

معكم عيسى مصطفى الوقاد، مدرس رياضيات، أعيش بشقة ملك ورثتها من والدي - رحمة الله عليه- بحي السكاكيني بشارع الشيخ قمر، متزوج من سلمى ناصر السيوفي ولي أربعة بنات وهن: فاطمة على اسم أمي رحمها الله، وتقى على اسم أول حب لي، وسلوى وسهام أمهم هي من اختارت أسماءهم. وبهذا تكتمل قسمة العدل، ولكن أي عدل فيما يحدث بحياتنا؟! كيف للحياة أن تعطيني بنات دون ولد واحد يحمل اسمي ويكون عون وسند لي؟! بأول خلفة تمنيت أن يكون لي ولد من أجل أن يكون الأكبر فيحمي أخته الصغيرة ولكن عاندتني الحياة فكانت بنت، وفي المرة الثانية أتت أيضًا بنت وقلت مثلما يقولون البنات رزقها كثير ولا أعلم كيف ولكن باركت مثل الجميع وأمنت على كلامهم، وقلت كفى لنفسك وأنهي هذا الأمل، ولكن هذا هو الإنسان يحاول ويأتي الأمل ليصفعه ليس ليرضيه، وهذا ما حدث بعد ذلك وجدت نفسي فجأة أب لأربع بنات وكل هذا بسبب الأمل أن القادم ولد، ضاقت عليّ الحياة ولكنها كانت مستورة، زادت الخلافات بيني وبين سلمى ولكن دائمًا ما كانت تعود الحياة لمجاريها، إلى أن أتى اليوم الذي خسرت به كل شيء! انهارت حياتي على رأسي بعدما كنت مدرس يتفانى بعمله، يعرف فرض ربه ويسير على قدر استطاعته، هزمتني لغة الارقام فكيف لا تهزمني وأنا أُدرّسُها؟!

الحكاية بدأت بجلسة على مقهى شلبية بميدان الجيش وأمام محطة المترو مباشرة، مع صديقي كرم الأسيوطي صاحب ماركت الأصدقاء عندما نظر إليّ في شفقة على حالي وهو يسحب أرجيلته الزغلول وينفث دخانها في الهواء الطلق قائلا:

عندي ليك حوار هيفوقك ويخليك ملك زمانك وحاجة في المضمون واسأل مجرب ولا تسأل دكتور.

انفرجت أساريري وقلت له:

أنا من إيدك دي لإيدك دي في أي حاجة تخليني أعرف أعيش، بس رسيني على الدنيا إيه وأهم حاجة تكون حلال.

أخذ نفس عميق من أرجيلته، ثم قال وهو ينفث الدخان:

بص يا عيسى أنا دخلت حوار من فترة كدا وأنت عارف أنا تاجر ومبدخلش حاجة إلا لو مضمونة، القصة كلها في أبليكيشن بتحط عليه فلوس وبتلعب وبتكسب من ٣ أضعاف وممكن تكسب ١٠٠ ضعف وده حصل معايا، حطيت ألف جنيه في يوم كسبت ١٠٠ ألف بس مش معنى كدا إنه كله مكسب عادي ساعات بخسر بس بعوض وهي التجارة كدا مكسب وخسارة.

لا أُخفيكم أنني تهللت من داخلي فرحًا، وقلت أخيرًا الفرج ولكن ساورتني شكوك كثيرة وقلت هل هذه حقيقة أم وهم أم ماذا؟ ثم فكرت قليلًا بعدما انتبهت لشيء ما، ثم قلت له باقتضاب:

بس ده كدا مش قمار يا كرم؟!

عبس وجه كرم وأمسك كوب الشاي وارتشف منه رشفة ثم قال وهو يلوح بأرجيلته:

قمار إيه يا عيسى؟ هو أنا بقولك تعالى ندخل ديسكو ونلعب روليت! ده أبلكيشن ومترخص وقانوني، ثم مش التجارة مكسب وخسارة؟

اه مكسب وخسارة بس دي تجارة بيع وشراء مش لعب.

سحب نفس ثم رد قائلا:

الحياة كلها لعب يا عيسى، ثم تبقى حرام لو مكسب بس علطول، لكن دي فيها شغل واجتهاد منك وبذل وقت وفيها مكسب وخسارة يعني مفيهاش أي حرمانية، ثم أنت حر أنا قولت أساعدك ولكن أنت حر بس خليك فاكر الحياة من غير مجازفة ما تتعاش ولو فضلت بنفس تفكيرك هتفضل محلك سر.

فكرت في كلامه ثم انتابني الفضول وسألته:

طيب هو اللعب ده عبارة عن إيه؟

سكت قليلا ثم أخرج هاتفه من جيبه وفتح شيء ما ثم أعطاني الهاتف وقال:

بص بنفسك جوا الأبلكيشن أهو قدامك.

نظرت لداخل الأبلكيشن وفوجئت بعالم آخر تمامًا، أرقام في صعود وهبوط، ملايين تدار، أنواع شتى من الألعاب منها ما هو سهل وما هو صعب وكلما ازدادت الصعوبة كثرت النقود يوجد ألعاب تعتمد على لعبك بالأرقام فابتسمت حيث الشيء الذي أفهم به

ويوجد رهان على مكسب فريق أو خسارته وكله على حسب مطالعتك لكل شيء وحدسك.

انبهرت بهذا العالم والذي جعل الأمل يتسلل إليّ ويا ليت الأمل كان انتحر وقتها على الأقل كنت لن أصل لهذه الهاوية السحيقة.

انتهت جلستنا أنا وكرم وقبل أن يذهب حملت الأبلكيشن وعرفت كل شيء عنه وطريقة إيداع النقود واللعب ولكن قلت من باب العلم فقط فشعوري يقول أن به حرمانية.

عدت إلى البيت فوجدت سلمى تنتظرني قائلة:

مُحصل الكهربا جه يا عيسى وما كانش معايا فلوس، علينا ١٢٠٠ ج كهربا و٥٠٠ ج ميه ومحتاجة تديني فلوس دروس للبنات وما تنساش جمعية أم رؤوف وتجيب بامبرز لسهام.

-هو مفيش مرة تقابليني من غير هات خالص، كل يوم دفع دفع؟ وإيه كل ده؟ هكمل باقي الشهر إزاي؟ الرحمة!! نفسي شهر يعدي من غير سلف.

عقدت حاجبها وقالت:

والله عرضت عليك أشتغل وأساعدك وأنت عامل فيها سي السيد خليك بقى سي السيد في نفسك وكفّي يا حبيبي.

تركتها ودخلت وأنا في قمة الضجر، وفكرت وقلت ماذا أنا بفاعل؟ وإلى متى ستظل هكذا يا عيسى؟ وكيف ستؤمن مستقبل بناتك إن كنت من الآن لا تكفي مصاريفهم؟ مرتبك لا يكفي شيء والدروس التي تعطيها بسعر زهيد رحمة بالناس لا تكفي أيضًا، فأين الرحمة بك يا عيسى؟

وطرقت بنفسي فكرة التجربة بخوض لعبة على الأبلكيشن، لعلها النجاة ومن المؤكد أن الله عالم بحالي وسيرفق بي.

ولكن لم أكن أعلم أن التجارب ما هي إلا فخ نقع به حتى لا نعود لسابق عهدنا مرة أخرى...

لعبت بالفعل بمبلغ زهيد في البداية حيث التجربة ونجحت وكسبت ثلاثة أضعاف مثلما قال كرم، تهللت ونسيت نفسي في البيت وظللت أرقص فرحًا وظلت تنظر لي سلمى كمجنون وقلت لها:

كل حاجة خلاص هتتظبط وهتلعب معانا يا سلومة.

نظرت لي بغير فهم وباستغراب قائلة:

هو في إيه؟

قلت لها نصف الحقيقة:

داخل في موضوع كدا مع كرم صديقي ما أنتِ عارفاه، تجارة بينا وفيها مكسب حلو.. دعواتك.

- طيب ربنا يكرمك يا حبيبي لما نشوف مع إني ما برتاحش لكرم ده بس خليني معاك.

لا أعلم لما كذبت عليها ولم أقل لها الحقيقة كاملة، ولكن لأنه من المؤكد أنها لن تفهم وستصدر أحكام خاطئة ولكن يا ليتني حكيت ويا ليتها أصدرت حكم عليّ ولو بالموت كان أهون مما لحق بي.

مثلما قلت لكم خضت التجربة وكسبت وبعدها لعبت على مبلغ أكبر وكسبت أيضًا ولعبت مرة ثالثة خسرت ولكن روح الأمل بالتعويض جعلتني أجازف وألعب مرة أخرى وكسبت وخسرت حتى رأيت نفسي أهمل عملي كمدرس وبدأت الدروس تقل وقلت فلتذهب الدروس والرحمة إلى الجحيم، ما أحققه على الأبلكيشن يفوق شغل سنة كاملة وظللت أسير هذه اللعبة، حتى أنه أصبح إدمان بالفعل، بدأت أخسر كثير وكل ما أقول لنفسي توقف، تغريني نفسي بالطمع والمكسب وأقول أي وظيفة ستحقق أحلامك؟! أنت هنا في مأمن بلحظة ممكن تعوض سنين، بررت لنفسي ما أفعله بل أصبحت صريح مع نفسي أني أقامر بالفعل وتناسيت الحلال والحرام وكيف تكون المقامرة حرام وحياتنا ما هي إلا مقامرة نأتي إليها ونقامر كل لحظة بطريقين ليس لهما ثالث جنة ونار، وما الفرق بين التجارة والمقامرة؟! أرى أنهم شيئان لعملة واحدة، تبًّا لكل شيء لا يجعلنا نجازف ونعيش بهذه الحياة..

لعبت وعوضت خسارتي وتهللت أيامي ويا ليتني توقفت ولكن ماذا نقول لغريزة الطمع الإنسانية؟! المرة الأخيرة لعبت على أكبر ما لدي رغبة في الوصول للملايين وقلت الحياة مجازفة ولا بد من عدم الخوف حتى نصل للمكسب الحقيقي وبالفعل ابتعت شقتي ولكن شرطت على من اشتراها أنني أجلس بها بالإيجار حتى لا يفضح أمري ولا تعلم زوجتي سلمى شيء وقلت عند المكسب سأعوضها بمنزل أفضل بكثير وبنفس الوقت نحن في منزلنا ولن يفرق إيجار أم ملك...

أخذت كل مبلغ الشقة ووضعتها داخل الأبلكيشن وقلت هذه هي اللعبة الأخيرة ولا تراجع ولا خسارة وقلت بكل حماسة أهل التنمية المهلبية إما أن أفوز أو أفوز وكأنني أعاند القدر وكأنني أنا من أملك الحياة ومن أقرر بها ما سيكون وتناسيت أنني أقامر ليس على نفسي ولكن أيضًا على حياة زوجة وثقت بزوجها وبنات ليس لهم ذنب سوى أنهم ولدوا لأب أصبح مقامر، جشع، طماع، لم يحكم العقل الرشيد ولم يغلق باب الشر منذ البداية فهوت نفسه في وحل سحيق...

بدأت اللعبة في تمام الساعة العاشرة والنصف مساءًا وزادت نبضاتي معها، وأنا أنظر للكرة التي تتقافز وتذهب يمنةً ويسارًا، وأنظر للرقم الذي راهنت أن الكرة تستقر عليه بعد حساباتي الجيدة لقوانين النسبية والعواصف الرياحية، ظلت الأضواء تعلو وتهبط وقلبي أيضًا يزداد كل ما قاربت اللعبة على النتيجة، وعلا ضغط الدم برأسي من كثرة الضغط على أعصابي، وتفاءلت عندما رأيت الكره تتجه للرقم الذي سيحقق حلم عمري وهو الرقم ٧ والذي أؤمن أن له أسرار عظيمة، وتهللت أساريري وقلت أنني فزت ولكن في لحظة مالت الكرة في أقل من الثانية لرقم ٦ وإذ بي صرخت صرخة أفزعت كل من بالبيت، صرخة تحطمت بها آمالي وأسقطتني أرضًا وجعلتني أفقد نفسي وأسرتي وبيتي، صرخة جعلتني مشردًا في الطرقات ألعن الأمل والناس وصديقي كرم والذي هو أيضًا خسر تجارته وتكالبت عليه الديون من البنوك حتى وصل به الحال للسجن..

اللعنة على الأمل الذي يجعلنا نلهث من خسارة لخسارة وعلى من يتشدقون بكلام عن النجاح وكأنهم مالكون لأقدارهم، اللعنة على الفقر الذي لولاه ما كنا قامرنا على حياتنا، اللعنة عليّ أنا عيسى مصطفى الوقاد وعلى فلسفتي الذي طرحتني أرضًا قلت أن الحياة لعبة وأول من لعبت به هو أنا.

تمت

١٥ يناير ٢٠٢٦

الساعة ٩ص

شكر خاص لكل من قرأ المجموعة القصصية وأتمنى تكون حازت إعجابكم ويسعدني استقبال آرائكم على صفحتي الشخصية على الفيسبوك.

مع خالص تحياتي

محمود كمال

وشكر خاص جدًا لأبطال مجموعتي القصصية

حسام الشواف

شهد عصمت المسلماني

حنين العاصي

ياسر وأدهم المطراوي وياسمين وأسماء وسيد وأم جاسر وأم يوسف

يوسف ومهند وتامر ومحمد

مصطفى عفيفي

إدريس عبد السلام وشمس محمد العزيزي ورامز

موسى عبد السلام وكرم الطيب وصلاح النن وفهد

حسن الضوي ومروان رشدي

عيسى مصطفى الوقاد وسلمي ناصر السيوفي وكرم الأسيوطي

لولاكم ما كنت عشت هذه الحيوات فكل الشكر لكم

من أعمال الكاتب:

- رواية ندى الحب الذي لا يموت ٢٠١٨

- رواية ميت ما زال حيًا الحائزة على أوسكار٢٠١٩

- رواية أقدار مؤقتة ٢٠٢٠

- ديوان آية ٢٠٢٠

- كتاب خواطر إنسانية بالتعاون مع الكاتبة طيبة مصطفى ٢٠٢١

- كتاب سيرة في حياة الإمام الشافعي ٢٠٢٥

- لعنة الفقراء مجموعة قصصية ٢٠٢٦

للتواصل مع الكاتب

صفحة الفيسبوك: محمود كمال – Mahmoud kamal

/https://www.facebook.com/Mahmoudkamal2018

قناة التليجرام: https://t.me/Mahmoudkamal

صفحة اليوتيوب: الكاتب محمود كمال

لمتابعة دار أكاديمية الكاتب على الفيس بوك:

دار أكاديمية الكاتب للنشر الإلكتروني

لمتابعة أكاديمية الكاتب على التليجرام وحضور المحاضرات الشهرية المجانية:

أكاديمية الكاتب للتدريب والاستشارات

اللينك:

https://t.me/AlKatebAcademyforTraining2023